كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين
التفسير وعلوم القرآن

الأذكار وآثارها النفسية في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

Supplications and their Psychological Influence in the Holy Quran (An Objective Study)

إعداد
بشائر إسحاق العويوي

إشراف
د. محمد يوسف الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في أصول الدين/ فرع التفسير
جامعة الخليل- فلسطين

1439هـ - 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأذكار وآثارها النفسية في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

Supplications and their Psychological Influence in the Holy Quran

(An Objective Study)

إعداد الطالبة:

بشائر إسحاق العويوي

إشراف الدكتور:

محمد يوسف الديك

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء بتاريخ 2018/5/16 الموافق 29/ شعبان/1439هـ. وأجيزت من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. د. محمد يوسف الديك	رئيس لجنة المناقشة:	التوقيع:.....
2. د. عطية صدقي الأطرش	ممتحناً داخلياً:	التوقيع:.....
3. د. عودة عبد عبدالله	ممتحناً خارجياً:	التوقيع:.....

الخليل – فلسطين

1439هـ/ 2018م

الإهداء

إلى طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور العيون وبهائها، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين المجلين الذين كانوا أئمة المتقين.

إلى المرابطين في سبيل الله بكل بقاع الأرض، إلى الأسود خلف قضبان الأسر.

إلى صاحب القلب ناصع البياض . . . . زوجي العزيز مروان زلوم.

إلى والديّ الغاليين الكريمين اللذين ربياني وقاما على رعايتي حفظهما الله.

إلى أولادي . . بتول، غفران، يوسف، معين، حبيبة . . . الذين تقرّ عيناي برؤيتهم.

إلى رياحين حياتي في الشدة والرخاء . . . إخوتي . . كريم، حازم، إسلام، راوية

إلى العائلة والعشيرة الكريمة . . . .آل العويوي

لكل الذين تقدّم ذكرهم أهدي رسالتي المتواضعة

شكر وتقدير

ما كان لهذه الرسالة أن تتمّ وتكتمل بهذه الحلية العلمية لولا توفيق الله تعالى وفضله، واستجابة للتوجيه الرباني القائل: **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** (إبراهيم: 7)، فإنني أشكره سبحانه على ما أنعم به علي وتفضّل، وأسأله المغفرة والدرجات العلا وأن ينوّر لي بصيرتي، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

وأُثني بالشكر لكل من أسهم بتعليمي أو بتوجيهي، أو أسدى لي نصيحة، وأخصّ بالشكر: فضيلة أستاذي **الدكتور محمد يوسف الديك**، حفظه الله تعالى، لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة فبارك الله فيه، وأتمّ عليه فضله، وجعل كل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى عضوي المناقشة الدكتور عودة عبد عبدالله والدكتور عطية صدقي الأطرش حفظهما الله.

والشكر موصول لأساتذة كلية الشريعة في جامعة الخليل، الذين كانوا مصدر إلهام وتشجيع لي في كتابة هذه الرسالة، فلهم مني جميعاً الشكر الجزيل، ومن الله الثواب الكبير.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
فهرس الموضوعات	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	و
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	ح
مقدمة	ي
الفصل الأول: مفهوم الذكر وبيان فضله	1
• **المبحث الأول: تعريف الذكر**	2
– المطلب الأول: الذكر لغةً	2
– المطلب الثاني: الذكر اصطلاحاً	3
– المطلب الثالث: علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي	7
– المطلب الرابع: معاني لفظ الذكر في القرآن الكريم	8
• **المبحث الثاني: فضل الذكر وبيان حكمه**	11
– المطلب الأول: فضل ذكر الله تعالى في القرآن والسنة	11
– المطلب الثاني: بيان حُكْم الذكر	20
الفصل الثاني: مفهوم النفس والأثر النفسي لذكر اللّه	26
• المبحث الأول: مفهوم النفس وبيان أنواعها	27
– المطلب الأول: النفس لغةً	27
– المطلب الثاني: النفس في الاصطلاح	28
– المطلب الثالث: أوجه ورود كلمة النفس في القرآن الكريم	29
– المطلب الرابع: النفس والروح	31
– المطلب الخامس: النفس من الذكر إلى الفكر	34

– المطلب السادس: أوصاف النفس في القرآن الكريم	36
▪ أولاً: وصف النفس الأمارة بالسوء	37
▪ ثانياً: وصف النفس اللوامة	41
▪ ثالثاً: وصف النفس المطمئنة	42
• **المبحث الثاني: الأثر النفسي لذكر الله**	46
– المطلب الأول: الأثر النفسي لذكر الله في القرآن الكريم	46
– المطلب الثاني: الأثر النفسي لذكر الله في السنة النبويّة	52
– المطلب الثالث: الأثر النفسي لقلة الذكر وتركه	54
▪ أولاً: تقييض الشيطان له	55
▪ ثانياً: المعيشة الضنك	56
▪ ثالثاً: الخسران والضلال المبين	57
▪ رابعاً: صدأ القلوب وغفلتها	58
الفصل الثالث: أسرار الأذكار وآثارها النفسية	60
• **المبحث الأول: أسرار الأذكار**	61
– المطلب الأول: الأبعاد التفاعلية للذكر	61
▪ أولاً: الذكر والبعد الشعائري	62
▪ ثانياً: الذكر والبعد الاجتماعي	65
▪ ثالثاً: الذكر والبعد الاقتصادي	70
▪ رابعاً: الذكر والبعد الكوني	73
– المطلب الثاني: رياض الذاكرين	82
▪ أولاً: روضة التهليل	82
▪ ثانياً: روضة التسبيح	87
▪ الآثار العملية للتسبيح	90
▪ بعض اللطائف التي وردت في التسبيح– أنواع التسبيح	97
▪ النوع الأول: ما يأتي بعدها ظرف زمان	97
▪ النوع الثاني: التسبيح بالحمد	99
▪ ثالثاً: روضة الحمد	105

▪ رابعاً: روضة التكبير	113
▪ خامساً: روضة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	120
• **المبحث الثاني: العبادة الذكية وأثرها في علاج النفس**	126
• مفهوم العبادة الذكية	126
– المطلب الأول: أثر ذكر الله في علاج بعض الأمراض النفسية	127
▪ أولاً: ضيق النفس	128
▪ ثانياً: الوسوسة	133
▪ ثالثاً: القلق	141
– المطلب الثاني: البرمجة اللغوية العصبية	147
▪ أولاً: نشأة البرمجة اللغوية العصبية	149
▪ ثانياً: مفهوم البرمجة اللغوية العصبية	149
▪ ثالثاً: البرمجة اللغوية العصبية بين مؤيد ومعارض	150
▪ رابعاً: بعض المشاكل التي تواجهنا أثناء دراسة البرمجة اللغوية العصبية	152
– المطلب الثالث: الأذكار وعلاقتها بالبرمجة اللغوية العصبية	154
▪ أولاً: علاقة الذكر بالبرمجة اللغوية العصبية	155
▪ ثانياً: تكرار الذكر في القرآن الكريم وعلاقته بالبرمجة اللغوية العصبية	158
الخاتمة	161
الفهارس العلمية	163
فهرس الاحاديث والآثار	164
فهرس الأعلام المترجم لهم	166
المصادر والمراجع	168

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن رسالتي هذه بعنوان (الأذكار وآثارها النفسية في القرآن الكريم- دراسة موضوعية)، قد اشتملت على مجموعة من الأهداف والنتائج والتوصيات، ومن أهمها: كشف أسرار بعض الأذكار وإبراز أبعادها بشتى أنواعها، والتطرق إلى بعض العلوم وربطها بالذكر، وعلاج بعض الأمراض النفسية من خلال الذكر.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الذي يقوم على استقراء النصوص الواردة في الذكر في القرآن الكريم.

وقسمت الرسالة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تضمنت المقدمة عنوان الرسالة وموضوعها وحدودها، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره ومنهج الرسالة وإجراءاتها.

وجاء الفصل الأول بعنوان: مفهوم الذكر وفضله، تحدثت فيه عن تعريف الذكر لغةً واصطلاحاً، والعلاقة بينهما، وحُكمه وفضله، واستخداماته في القرآن الكريم والعلاقة بين التعريفين (اللغوي والاصطلاحي).

وجعلت الفصل الثاني للحديث عن مفهوم النفس، والأثر النفسي لذكر الله وشمل مفهوم النفس، وبيان أنواعها، والأثر النفسي للذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وتحدثت في الفصل الثالث عن أسرار الأذكار وآثارها النفسية، وذكرت فيه أسرار بعض الأذكار، والعبادة الذكية وأثرها في علاج النفس والبرمجة اللغوية العصبية وعلاقتها بالتكرار.

وذكرت في آخر الرسالة عدة نتائج توصلت إليها، كان من أهمها: أن ذكر الله هو من أكثر الطاعات أهمية إذ؛ أنه يدخل ضمن كل العبادات ولا بد أن يكون باللسان والقلب والعقل، كما أن له أثراً نفسياً على شخصية الذاكر، ومدى أهمية معرفة الأبعاد التفاعلية للذكر ومجالاتها، والذكر الواعي وكيف أن له نتائج مذهلة في الشفاء من الأمراض النفسية، وكيفية التعامل مع ما استجد من العلوم.

ومن أهم التوصيات، توجيه الباحثين إلى العناية الشديدة بدراسة مواضيع القرآن فيما يسمى (التفسير الموضوعي)، وعقد دورات تربوية دورية متخصصة للخطباء والوعاظ؛ لدراسة كيفية تطبيق الأذكار وبيان أثرها النفسي، مع إصدار نشرات تثقيفية متعلقة بالأذكار وأبعادها التربوية، وعدم التعامل مع الأذكار ضمن منظومة ضيقة تندرج تحت شعار (عادة وليست عبادة).

Abstract

All praise be to Allah, the Lord of worlds, and may the peace and blessings of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family, companions, and those who followed them until the Day of Judgment.

This present study: "**Supplications and their Psychological Influence in the Holy Quran – An Objective Study**) included a group of objectives, findings, and recommendations. Primarily, the study revealed various supplications and highlighted their dimensions. Moreover, it touched on some sciences and linked them with these supplications, and the treatment of some psychological diseases through supplications.

The study adopted the objective and inductive methodology in the interpretation.

It is divided into an introduction, three chapters, and a conclusion. The introduction included the title of the study, the topics, limitations, significance, the reasons and procedures of selecting the methodology.

The First Chapter was titled: "**The Concept and Virtue of Supplication**". The researcher tackled the definition of supplication, lexically and contextually, the relationship between them, its Islamic rule and virtue, and its uses in the Holy Quran.

The Second Chapter discussed the Self-concept, and the psychological influence of supplicating Allah. It includes the self-concept, its types, and the psychological influence of supplicating Allah in the Holy Quran and the Prophetic *Sunnah*.

The Third Chapter discussed the secrets and psychological influences of supplications. It included types of some supplications, and smart worship and its influence in self-treatment, Neuro-linguistic programming and its relationship with recurrence.

The study concluded with several recommendations, most importantly, the supplication of Allah is the most important worship as it falls within all acts of worship and it must be conducted by tongue, heart, and mind. Also, it has a psychological influence on Al-Thakir (*the person who supplicates Allah*), the significance of understanding interactive dimensions and fields of supplications, the enormous results in treating psychological diseases, and the mechanisms of dealing with latest sciences.

The recommendations included the necessity to direct researchers to study the Quran issues of what so-called (*The Objective Interpretation*), conduct periodical educational courses for preachers to study the mechanism of applying supplications, and identify their psychosocial influence. Additionally, it recommends the importance of issuing educational leaflets concerning supplications, and educational dimensions, and avoids dealing with supplications under a narrow system that falls under the slogan (*A habit and not worship*).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، وأرشد عباده الى الحق وإلى طريق مستقيم، وجعل الذكر سبباً لصلة العبد بربّه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[1]، والصلاة والسّلام على سيِّدنا رسول الله، الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، فعلّم أمته ما يقرِّبُهم إلى الله، وبيّن لهم فضل ذكرهم ربَّهم، وأوصاهم بالمداومة على ذلك حتى ينالوا سعادة الدارين، أما بعد:

فإن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف ما دام هناك عقل يتفكر وقلب يتذكر لأنه؛ كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، بل إن التفسير متجدد حسب ما تقتضي الظروف والأحوال، ومن هذا التجديد التفسير الموضوعي الذي يُعد منهاجاً مهما وفناً جديداً من مناهج وفنون التفسير القرآني لأنه؛ تفسير العصر والمستقبل.

وقد وفقني الله سبحانه وتعالى إلى الكتابة في هذا المجال، ولما كان الذكر حالة ملازمة للإنسان المسلم (شددت الرحال) أغوص في معانيه ودلالته في القرآن الكريم تطبيقاً وتتويجاً لهذا اللون التفسيري سالف الذكر.

والمتأمل المحلل للأذكار الصحيحة، يجد أنها تُسهم في بناء شخصية المسلم، فتزرع في نفسه الإيمان الكامل، وتعمق فيه التوحيد الخالص، وتنمّي المعاني الحسنة المرتبطة بالنفس البشرية، حتى تجعل من نفس

---

[1] سورة البقرة، آية (152).

المؤمن نفساً سوية مستقيمة بعيدة عن صور الاضطراب والانهزام والقلق، وبعيدةً عن الأمراض التي يعاني منها كثير من الناس في الوقت الحاضر، ولأهمية هذه الأسباب، ولغيرها من الأسباب أيضاً، ارتأيت أن أتقدم ببحث بعنوان: **(الأذكار وآثارها النفسية في القرآن الكريم– دراسة موضوعية)**.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: رغبتي في إحياء مفهوم الذكر في المجتمع، خاصة لِمَا أراه من بُعد الناس عنه وعن حقيقته وأسراره.

ثانياً: الإسهام في استكمال جهود العلماء والباحثين السابقين من خلال تناول الموضوع باعتباره لوناً من ألوان التفسير الموضوعي.

ثالثاً: إبراز أهمية البحث في موضوع الأذكار في القرآن من خلال ربطه بالواقع المعاصر.

رابعاً: على الرّغم من ظهور أهمية الذكر وكثرته في كتب علمائنا، إلا أن هذه الكتب اقتصرت في جُلّها على بيان فضل الذكر وآدابه وفوائده وصِيَغه، أما الآثار النفسية للذكر وأسراره، فلم أعثر حسب اطلاعي على مؤلَّف مستقل يجمع شتاته، إلا ما بدا من الكلام مختصراً في ثنايا بعض الكتب، لذا وجدت أنه من المناسب أن أجمع هذا الموضوع في رسالة مستقلة يسهل الرجوع اليها.

أهمية البحث:

أولاً: حاجة الأمة الإسلامية اليوم لهذا الموضوع وخصوصاً بعد حصر معنى الذكر، ووضعه ضمن ضوابط معينة.

ثانياً:لأن الذكر عنوان صلة العبد بربه، وما شُرعت العبادة إلا لتحقيق الذكر.

ثالثاً: كونه من المؤشرات الحقيقية على يقظة وحيوية الأمة الإسلامية؛ إذْ بتحققه تكون الأمة في مرحلة متقدمة من الإيمان المنشود.

أهداف البحث:

أولاً: بيان مفهوم الذكر وفضله.

ثانياً: كشف أسرار بعض الأذكار مع بيان كيفية التعامل معها وأثرها النفسي على الإنسان.

ثالثاً: بيان الاثر النفسي للذكر، وعلاج بعض الأمراض النفسية الناتجة عن ضعف صلة الناس بالذكر.

رابعاً: ربط الذكر ببعض العلوم النفسية المستحدثة في عصرنا، ومن هذه العلوم علم النفس وبحوث البرمجة اللغوية العصبية.

خامساً: إبراز أبعاد الأذكار بأنواعها المتمثلة في البعد الشعائري، والاجتماعي، والاقتصادي، والكوني

سادساً: إبراز موضوع الأثر النفسي للذكر وربطه بالواقع المعاصر.

الدراسات السابقة:

لم أقف على رسالة تتعلق بالأثر النفسي للذكر وأسراره، وكان هناك دراسات تناولت بعض جوانبه منها:

أولاً: بحث بعنوان: **(أمراض النفس وعلاجها بالذكر)**، إعداد: آمال سعدي قطينة، وهدفت هذه الدراسة الى بيان أهمية الأذكار الواردة في الكتاب والسنة، والتي تسهم في تحصين النفس البشرية من الأوهام والتخيّلات، وقد سارت في دراستها وفق المنهج الوصفي التحليلي، وتطرقت في دراستها إلى بعض الأمراض النفسية، وإلى كيفية علاجها بشكل مختصر وقريب الى علم النفس بشكل خاص، وتطرقت أيضا الى الحديث عن المشاكل النفسية في بعض المراحل العمرية، إلا أنها لم تتطرق إلى الحديث عن الآثار النفسية، ولم تتحدث عن أسرار الأذكار، ولا عن العلوم المستحدثة القريبة من هذا العلم.

ثانياً:(**الأبعاد التربوية المتضمَّنة في كتاب الأذكار للنووي)**، إعداد: يوسف حسن أبو معمّر، وهي رسالة ماجستير قدّمت إلى الجامعة الإسلامية – غزة؛ وتحدث في بحثه عن الأبعاد التربوية للأذكار في المجال العقائدي والجهادي والاقتصادي والاجتماعي، وذكر بشكل جزئي ومقتضب البعد التربويَّ للأذكار؛ وتحدّث عن الناحية النفسية، إلا أنه لم يتوسع في مفهوم الأثر النفسي للذكر، ولم يتطرق الى حقيقة الذكر كما ينبغي أن يتعامل معه الناس في المجتمع، وكان من أبرز توصياته: إفراد دراسة كاملة للأثر النفسي للذكر، لِما له من أهمية بالغة على الفرد والأسرة والمجتمع، وهذا جانب من الجوانب التي سأقوم بإبرازه في هذه الرسالة.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الاستقرائي والذي يقوم على استقراء النصوص الواردة في الذكر في القرآن الكريم والألفاظ ذات العلاقة، ثم عمدت إلى وضع العناوين الرئيسية والفرعية من خلال النصوص الشرعية المختلفة، واتبعت المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي في بيان معاني النصوص القرآنية واتبعت الخطوات التالية:

أولاً: جمع الآيات القرآنية المتعلقة بلفظ الذكر والألفاظ ذات العلاقة.

ثانياً: وضع العناوين الرئيسية والفرعية من خلال الآيات القرآنية.

ثالثاً: تخريج الأحاديث النَّبويَّة الواردة في البحث، فإنْ كانت في الصحيحين، أو أحدهما، أكتفي بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإذا كان الحديث في غيرهما فسيتم بيان ذلك، مع بيان حكم العلماء عليه.

رابعاً: جمع المادة العلمية من المصادر الأصلية قدر الإمكان، مع الاستفادة من بعض المعلومات المعاصرة فيما يتعلق بالموضوع، والرجوع إلى الكتب المطبوعة والمكتبات الإلكترونية.

خامساً: ذِكر المرجع الذي اعتمدتُ عليه في كل مسألة بالطريقة التالية: اسم الشهرة، اسم المؤلف وتاريخ وفاته، ثم اسم الكتاب، ثم رقم الصفحة والجزء، ومكان دار النشر والطبعة إن وُجد، وعندما يتكرر المرجع أكتفي باسم الشهرة والمرجع فقط، مع ذكر رقم الجزء والصفحة.

سادساً: الرّجوع إلى معاجم اللّغة والمصطلحات للتّعريف بالمصطلحات الغريبة الواردة في البحث.

سابعاً: الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة مختصرة، وعليه، فلن أترجم لأحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا للخلفاء الراشدين، ولا للأئمة الأربعة، لغنى هؤلاء أجمعين عن الحاجة إلى الترجمة.

ثامناً: صفحة خاصة للمراجع، وأخرى للفهرس.

تاسعاً: استنباط النتائج والدلالات.

محتوى البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة:

وتحتوي على: أهمية البحث وأهدافه، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومحتوى البحث.

الفصل الأول: مفهوم الذكر وبيان فضله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الذكر

المبحث الثاني: فضل الذكر وحكمه

الفصل الثاني: مفهوم النفس والأثر النفسي لذكر الله

وفيه مبحثان:

المبحث الاول: مفهوم النفس وبيان أنواعها

المبحث الثاني: الأثر النفسي لذكر الله

الفصل الثالث: أسرار الأذكار وآثارها النفسية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسرار الأذكار

المبحث الثاني: العبادة الذكية (الذكر) وأثرها في علاج النفس

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته

وفي الختام هذا عملي وجهدي الذي أسأل الله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله سبيلاً لتحصيل العلم والعمل الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على أشرف المعلمين وخير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصـل الأول: مفهوم الذكر وبيان فضله

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف الذكر

المبحث الثاني: فضل الذكر وبيان حكمه

المبحث الأول: تعريف الذكر

الذكر من المصطلحات القرآنية ذات المفاهيم التي تلامس القلب، وجاءت ملازمة لمفردات الإيمان، وبرهانا على صدق انتماء المؤمن لدينه ورسالته، حيث ورد الحديث عنه في آيات كثيرة بصيغ مختلفة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[2]، وسأبحث هنا تعريف الذكر لغة واصطلاحاً، مبينة معاني لفظ الذكر في القرآن الكريم في المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: الذكر لغةً

الذكر لغة: مصدر ذَكَر الشيء يذكره ذُكْرًا وَذِكْرًا بكسر الذال وضمها، وهو يأتي في اللغة على معان عدة من أهمها[3]:

الأول: الشيء يجري على اللسان، أي ما ينطق به، يقال: ذكرت الشيء أذكره ذُكْرًا وَذِكْرًا إذا نطقت باسمه أو تحدثت عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[4].

---

[1] سورة الأحزاب، الآيتان (41، 42).

[2] سورة العنكبوت، آية (45).

[3] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت:502هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص328، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الشامية– دمشق بيروت، والرازي، محمد بن أبي بكر الحنفي، زين الدين (ت: 666هـ)، **مختار الصحاح**، ص112، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة: 1420هـ/1999م، وابن منظور، محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الإفريقي، (ت: 711هـ)، **لسان العرب** (308/4)، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

[4] سورة البقرة، آية (152).

الثاني: استحضار الشيء في القلب، أي هو نقيض النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾[1].

الثالث: الصِّيتُ والثناء والشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾[2] أي ذي الشرف[3].

الرابع: "التنبيه على الشيء، وإذا ذكرتَه فقد نبّهتَ عليه، ومن ذكَّرك شيئاً فقد نبهك عليه، وليس من لازمه أن يكون بعد النسيان، الذي هو حضور المعنى في الأنفس[4].

ومن دراسة ما تقدم من معان للذكر في كتب اللغة، فإنه يتضح أن المعنى اللغوي للذكر (بكسر الذال وسكون الكاف)– وهو المراد بالبحث– الثناء على الله تعالى مع حضور المعنى في النفس.

المطلب الثاني: الذكر اصطلاحاً

الذكر في الاصطلاح: لفظ مشترك يطلق على عدة معان، وعرَّفه العلماء تعريفات كثيرة، منها:

---

[1] سورة الكهف، آية (63).

[2] سورة ص، آية (1).

[3] الرازي، **مختار الصحاح**، ص 112.

[4] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (4/ 308)، أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، ص137، دار الفكر، دمشق_ سوريا، الطبعة: الثانية، 1408هـ/1988م.

وعرّفه أبو البقاء الكفوي[1] بقوله: "الذكر بالكسر له معنيان، أحدهما التلفظ بالشيء، والثاني إحضاره بالذهن بحيث لا يغيب عنه وهو النسيان، ويُجمع على أذكار، ويُطلق ويراد به المواظبة على العمل"[2].

وعرّفه الأصفهاني[3] بأنه: "تارةً يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء بالقلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر نوعان: ذكرٌ بالقلب، وذكر باللسان"[4].

---

[1] هو: الحبال أبو البقاء المعمر بن محمد بن علي بن إسماعيل الكوفي، الحبال، الخزاز، ويعرف ببلده بخريبه، وهو شيخ ثقة، ولد عام (410هـ)، روى بالكوفة وبغداد عن الكبار، وليس هو بالمكثر في الرواية، ولكنه عمَّر حتى روى كثيرا، وبورك له فيما سمع، توفي في جمادى الآخرة عام، (499هـ)، بالكوفة. انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (ت:748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، 1405هـ/1985م، (209/19)، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (ت: 748هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، (819/10)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م).

[2] أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (ت: 1094هـ)، **الكليات**، (465/1)، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت.

[3] هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأَصْفَهَاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء)، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب)، توفي عام: (502هـ). (انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، (ت:1067هـ)، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، (56/2)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: 2010م، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (ت: 1396هـ)، الرزكلي، **الأعلام**، (255/2)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.

[4] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص328.

ولخص القرطبي[1] معنى الذكر فقال: "وأصل الذكر التنبّه بالقلب للمذكور والتيقّظ له، وسمي الذكر باللسان ذكراً، لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم"[2].

وعرّفه ابن عطاء الله السكندري[3] بأنه: "التخلص من الغفلة والنسيان، بدوام حضور القلب مع الحق". وقيل: "ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان، وسواء في ذلك ذكر الله، أو صفة من صفاته أو حُكْم من أحكامه، أو فِعْل من أفعاله"[4].

---

[1] هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر والعالم بالقراءات، كان صالحا متعبدا، رحل من الأندلس إلى الشرق، فاستقر في منية ابن خصيب بمصر ومات فيها، من تصانيفه: (تفسيره: الجامع لأحكام القرآن، والتذكار في أفضل الأذكار)، مات بمصر عام 671هـ، (انظر: الزركلي، **الأعلام**، (233/5)، انظر: نويهض، عادل، **معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"**، (219/1-220)، (تقديم: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد)، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409هـ/1988م، انظر: كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني(ت: ١٤٠٨هجري)، معجم المؤلفين(٢٣٩/٨)، مكتبة المثنى_ دار إحياء التراث العربي _ بيروت)).

[2] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (ت: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن والمسمى بـ (تفسير القرطبي)**، (171/2)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة.

[3] ابن عَطَاء الله السكندري، (709هـ = 1309م)، هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله السكندري: متصوف شاذلي، من العلماء. له تصانيف منها (الحكم العطائية – ط) في التصوف، و (تاج العروس– ط) في الوصايا والعظات، و (لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن) توفي بالقاهرة، الزركلي، **الأعلام**، (221/1).

[4] السكندري، تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، **مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح**، ص7، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

وعرفه ابن تيمية[1] بقوله: "كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله، من تعلُّم عِلم وتعليمه، وأمْر بمعروف ونهي عن منكر، فهو من ذكر الله"[2].

وعرف ابن القيم[3] الذكر الظاهر بأنه: "ثناء أو دعاء أو رعاية. ويريد بالظاهر: الجاري على اللسان المطابق للقلب، لا مجرد الذكر اللساني، فأما ذكر الثناء: فنحو: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وأما ذكر الدعاء فنحو: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4] ويا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. ونحو ذلك، وأما ذكر الرعاية: فمثل قول الذاكر: الله معي والله ناظر إلي، الله شاهدي. ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله، وفيه رعاية لمصلحة القلب ولحفظ الأدب مع الله والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان والنفس"[5].

---

[1] هو: ابن تَيْمِيَّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحنبلي، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة (661هـ)، وتيمية لقب جده الأعلى، تحول به أبوه إلى دمشق فنبغ. وسمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن أبي الخير، وابن الصيرفي وغيرهم، قصد مصر وسجن بها، ثم أطلق سراحه فسافر إلى دمشق واعتقل بها، ومات معتقلا فيها سنة(728هـ)، كان داعية إصلاح في الدين، وبرع في العلم والتفسير، تصانيفه كثيرة منها: الفتاوى، منهاج السنة، الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان وغيرها . (انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت: 764)، **الوافي بالوفيات**، (11/7)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/2000م، والمَزّي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي، (ت: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (19/1)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1400هـ/1980م، الطبعة: الأولى، والزركلي، **الأعلام**، (144/1).

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت:728هـ)، **مجموع الفتاوى**، (661/10)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

[3] هو: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ولد في دمشق، (ت: 751هـ)، أحد كبار العلماء، تتلمذ على يد الكثيرين ولكنّ أكثر من أثّر به شيخ الإسلام ابن تيمية، سجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية، ألّف تصانيف منها: إعلام الموقعين، الوابل الصيّب من الكلم الطيب، الروح وغيرها، (ت:751هـ). الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (195/2)، والزركلي، **الأعلام**، (56/6).

[4] سورة الأعراف، آية (23).

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (406/2)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ/1996م.

وعرفه ابن حجر العسقلاني بأنه: "الألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل: الباقيات الصالحات وما يلتحق بها من الحوقلة، والبسملة، والحسبلة، والاستغفار، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه من تلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة"[1].

وأرى أن تعريف القرطبي هو أقرب للصواب حيث إنه يجمع في ثناياه الترديد باللسان والحضور بالجَنان والتصديق بالجوارح والأركان، بما كان في طاعة الله سبحانه وتعالى، من قراءة القرآن والذكر باللسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعلم والتعليم وغيرها من الأقوال والأعمال في الذكر، وهذا هو المقصِد المرجوّ من الذكر والذي غفُل عنه الكثير من الناس.

المطلب الثالث: علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي

من خلال تعريف الذكر لغة واصطلاحاً يتبين لنا أن المعنيين اللغوي والاصطلاحي متداخلان في المعاني والألفاظ، حيث تظهر العلاقة واضحة بينهما، لأن الذكر يطلق على الذكر بالقلب واللسان والجوارح والأصل في إطلاق مصطلح الذكر هو الذكر القلبي؛ لأنه هو الحامل على ذكر اللسان والجوارح، ولكن كثرة إطلاق الذكر اللساني جعلته هو الأسبق إلى الأفهام، مع أن المعوَّل عليه في الذكر ما كان بالقلب أو اللسان أو الجوارح، ولكن بشرط حضور القلب.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (209/11)، دار المعرفة–بيروت، 1379م.

المطلب الرابع: معاني لفظ الذكر في القرآن الكريم

جاء لفظ الذكر في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة، مما يدلل على المعنى الذي يحتويه، وهذا يتطلب النظرُ في مواضع ورود كلمة الذكر في القرآن الكريم، ومراعاةَ سياق وروده في النصوص القرآنية المختلفة، ومن أهمها[1]:

الأول: الذكر بمعنى الثناء على الله، وهو ما يعرف بذكر اللسان عن طريق تحميده وتسبيحه وتكبيره وتعداد نعمه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، يعني الذكر باللسان: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[2]، نظيرها في سورة البقرة: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[3]، يعني الذكر باللسان، وكقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[4]، تعني أيضا الذكر باللسان.

الثاني: الذكر بالقلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5]، "يعني ذكروا الله بالقلب في أنفسهم، وهو ذكر ما يجب لله على عبده، ومعنى ذكر الله هنا ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده"[6].

---

[1] انظر: الدامغاني، أبو عبد الله الحسين، (ت: 478هـ)، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، ص219، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (302/1)، تحقيق: محمد بن عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة لبنان، بيروت، وأبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، **الوجوه والنظائر**، (222/1)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

[2] سورة النساء، آية (103).

[3] سورة البقرة، آية (200).

[4] سورة الأحزاب، آية (41).

[5] سورة آل عمران، آية (135).

[6] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، (92/4)، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ.

الثالث: الذكر بمعنى الشرف والقدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[1]. "فالذكر هنا بمعنى الشرف، ذلك أن الشرف إنما يحصل بذكر الله، فيكون بذلك شرفاً للناس في الدنيا والآخرة"[2].

الرابع: الذكر بمعنى الوعظ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾[3] أي نسوا ما وعظوا به، نظيرها في الأعراف قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[4]، أي نسوا ما وعظوا به، وقال في يس: ﴿ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ ﴾[5]، أي وُعظتم، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[6]، "يعني فعظ إنما أنت واعظ"[7]. وقال تعالى:﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[8]، "أي ما هذا القرآن أو ما أدعوكم إليه إلا موعظة للخلق أجمعين، والعاقل يشهد بصحته"[9]، "وإنما صار الذكر وعظاً في مكان آخر، لأنه لا يخلو الوعظ من ذلك"[10].

---

[1] سورة الزخرف، آية (44).

[2] الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين، (ت: 320هـ)، **تحصيل نظائر القرآن**، ص64، تحقيق: حسني نصر زيدان، الطبعة: الأولى، 1389هـ/1969م.

[3] سورة الأنعام، آية (44).

[4] سورة الأعراف، آية (165).

[5] سورة يس، آية (19).

[6] سورة الغاشية، آية (21).

[7] البلخي، مقاتل بن سليمان، **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، ص53، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد–العراق.

[8] سورة ص، آية (87).

[9] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت: 1436هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (235/23)، دار الفكر المعاصر– دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

[10] الحكيم الترمذي، **تحصيل نظائر القرآن**، ص64.

وأرى أن الذكر يحتوي على معنى واسع غير ما نراه اليوم في حياتنا، إذ إن ما نراه اليوم من معاملة جافة للذكر تدل على أن الناس لم تعرف معنى الذكر الحقيقي وآثاره وأبعاده على النفس، ولو عَلِمت ما للذكر من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية لتمسكت به، ولما فارقها لحظة واحدة، ولعل من أكبر المشاكل التي تواجه الإنسان في هذه الحياة أنه يعامل الأذكار كأنها كلمات وألفاظ تؤدى باللسان فقط، دون الشعور أو التأمل فيها، ومن أول العلاجات التي تساعد في حل هذه المشكلة معرفة النفس وماهيّتها، وكيف يمكن أن تتأثر هذه النفس بما يُلقى عليها من أذكار، وهذا ما سأتحدث عنه في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: فضل الذكر وبيان حكمه

الذكر فضله عظيم، وهو العمل الوحيد الذي أمر الله تعالى بالإكثار منه في القرآن الكريم. وبيان فضل الذكر مهم في دفع الإنسان إلى الالتزام به، واتخاذ برنامج عملي لنفسه يكون به ذاكرا لله تعالى. ويأتي مناسبا للسياق بيان حكم الذكر، وهو أمر مهم جداً. وعليه، عقدت المطلب الأول من هذا المبحث لبيان فضل الذكر، وعقدت المطلب الثاني لبيان حكمه.

المطلب الأول: فضل ذكر اللّه تعالى في القرآن والسنة

إن اللسان الذي يلهج بذكر ربه، والقلب الذي يخفق بعشق مولاه، والجوارح التي تنتفض خشوعاً عندما تتلو آيات ربها، أو تقطع فيافي النفس متفكرة بخالقها وعظيم صنعه وجلال نعمه، كلّ ذلك يولّد قوة حقيقية أمام صعاب الحياة ومكابدة تفاصيلها، لذا جاءت النصوص الشرعية متتابعة متضافرة في القرآن الكريم والسنة النبوية تبين فضل الذكر؛ فلماذا كان الذكر؟ ولماذا رغَّب الله تعالى فيه؟ وما أهميته في حياة المسلم، حتى جاء القرآن الكريم في الكثير من آياته يحث عليه، ويرغِّب فيه، وكذلك السنة النبوية الشريفة، بحيث غدا الذكر ملازماً للمسلم في كل أوقاته، وفي كل أحواله، ليبقى مرتبطاً دائماً بربه عز وجل؟

لمعرفة مدى فضل الذكر في حياة الإنسان، وسبب ترغيب الله فيه، لا بد لي من أن نحلّق في رحاب آيات الله تعالى، وسنة نبيه الكريم ﷺ، استلهم منها فضل الذكر في حياة المسلم، وكيف حثنا الله عليه، ودعا المسلمين للمداومة عليه؛ فلو نظرت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ لوجدت أن الآيات جاءت صريحة بصيغ مختلفة تحثّ المؤمنين لتمثل هذا السلوك النبيل، مُشيدَة بأهله ومبينة عظيم فضله. وفيما يلي أذكر بعض الآيات الكريمة التي تدل على ما يناله الذاكر لربّه من أجر:

أولاً: الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[1]، "والمعنى المقصود من صلاة الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه، وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم"[2]، "فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى، ومن ملائكته هي سبب إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته، وأخرجوا من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم، لما حرموا من خيره وفضله"[3].

قال سيد قطب[4]: "كان ذكر الله أشمل من الصلاة، فهو كل صورة يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه، سواء جهر بالذكر بلسانه أم لم يجهر، وإن القلب ليظل فارغاً أو لاهياً حتى يتصل بذكر الله ويأنس به، فإذا هو مليء، جاد وقور، يعرف طريقه ومنهجه، ويعرف من أين وإلى أين ينقل خطاه، ومن هنا يحض

---

[1] سورة الأحزاب، الآيات (41-43).

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (198/14).

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **فضائل الذكر والدعاء**، ص92، دار الجيل_ بيروت، الطبعة: الثانية.

[4] هو: سيد قطب بن إبراهيم: (1324هـ- 1387هـ = 1906م- 1966م)، مفكر إسلامي مصري، ولد في أسيوط. تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة , وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرّسالة) و (الثّقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم (مراقبا فنيا) للوزارة، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التّعليم في أميركا , ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز؛ لذا طالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية، وبنى على هذا استقالته 1953م في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، ، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم، أجلّ مؤلفاته: كتاب في ظلال القرآن. (انظر: نويهض، عادل، **معجم المفسرين**، (219/1-220)، والزركلي، **الأعلام**، (147/3).

القرآن والسنة كثيراً على ذكر الله، ويربط القرآن بين هذا الذكر وبين الأوقات والأحوال التي يمر بها الإنسان لتكون الأوقات والأحوال مذكرة بالله تعالى ومنبهة إلى الاتصال به، حتى لا يغفل القلب ولا ينسى"[1].

ثانياً: "الذاكر يحظى بذكر الله تعالى وقربه منه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[2]، أي اذكروني أيُّها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم، والبعض تأوّل ذلك من الذكر بالثناء والمدح"[3].

وقال القشيري[4]: الذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور، ثم استهلاكه في وجود المذكور، ومعنى (فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ) أي اذكروني بقلوبكم أذكركم بتحقيق مطلوبكم، (فَٱذۡكُرُونِيٓ) بالتذلل (أَذۡكُرۡكُمۡ) بالتفضل (فَٱذۡكُرُونِيٓ) بالرهبة (أَذۡكُرۡكُمۡ) بتحقيق الرغبة، ويقال الشكر من قبيل الذكر[5].

---

[1] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، (2871/5)، دار الشروق بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشرة.

[2] سورة البقرة، آية (152).

[3] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (211/3)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.

[4] هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري الأستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام، وأمه من بني سليم، توفي أبوه وهو طفل فقرأ الأدب والعربية، أحد أئمة المسلمين علما وعملا وأركان الملة فعلا ومقولا، ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، كان فقيها بارعا أصوليا محققا متكلما سنيا محدثا حافظا مفسرا متفننا نحويا لغويا أديبا كاتبا شاعرا مليح الخط جداً شجاعاً بطلاً له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة، أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وبركة المسلمين في ذلك العصر(انظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت: 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، (153/5–154)، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ). وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **البداية والنهاية**، (131/12)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ/1988م.

[5] انظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات المسمى بـ (تفسير القشيري)**، (137/1–138)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، الطبعة: الثالثة.

ويدلّ على تفضّل المولى عزّ وجل بذكر من يذكره، كما هو في الآية، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه[1] قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: "**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**"[2].

قال صاحب كتاب (صحيح مسلم): "معنى قوله (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)، أي: معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، وقوله: (فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي)، النفس تطلق في اللغة على معانٍ: منها الذات والله تعالى له ذات حقيقية، وهو المراد بقوله تعالى: (فِي نَفْسِي)، ومنها الغيب وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[3]، أي ما في غيبي، فيجوز أن يكون مراد الحديث: إذا ذكر خالياً أثابه الله وجزاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد، وقوله: (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ

---

[1] هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب ب أبي هريرة: صحابي، (ت: 57هـ)، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة 7هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه 5374 حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من 800 رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها، (انظر: ابن حَجَر العَسْقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: 852هـ)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، (348/7-349)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، والزركلي، **الأعلام**، (308/3)).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله ويحذركم الله نفسه، حديث رقم(7405)، (121/9)، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت: 241هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المسمى بـ (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (2675)، (2061/4)، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسمى بـ (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[3] سورة المائدة، آية (116).

مِنْهُمْ)، يؤول هذا الحديث على أن الذاكرين غالباً يكونون طائفة لا نبيّ فيهم، فإذا ذكره الله تعالى في خلائق من الملائكة كانوا خيراً من تلك الطائفة"[1].

وقال القرطبي في معنى قوله: (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)، المعية هنا هي معية التوفيق والتسديد، وقوله: (فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي)، أي: من ذكر الله تعالى خالياً منفرداً بحيث لا يطلع عليه أحد من الخليقة، جازاه الله على ذلك بأن يذكره بما أعدّ له من كرامته التي أخفاها عن خليقته. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

"وقوله: (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي ملأٍ ذَكَرْتُهُ فِي ملأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)، يعني أن يذكره الله في ملأ من الملائكة وينادي باسمه في الملائكة، ويأمر جبريل أن ينادي بذكره في ملائكة السماوات، وهو ظاهر في تفضيل الملائكة على بني آدم، وهو أحد القولين للعلماء"[3].

بعد شرح هذا الحديث يتضح لنا أن الذاكر في معية الله دائماً وفي كل أحواله، وهذا يؤدي إلى شعور الذاكر دوماً بالاطمئنان، فمعية الله تستلزم الشعور بالأمن والأمان والسلم والسلام، وهما شعوران متلازمان يؤديان إلى الراحة النفسية، ولهما أثر نفسي كبير على الإنسان، إذ إن معية الله تجعل الإنسان دائماً عزيزاً لا يذل لمخلوق ولا يخضع إلا لقوانين الله وحده، فيرضى عن نفسه ويرضى الله عنه، وتذوب مع ذلك كل

---

[1] النووي، الإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا بن شرف بن مُرّي، (ت: 676هـ)، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص1585، بيت الأفكار الدولية، عمان– الأردن.

[2] سورة السجدة، آية (17).

[3] أبو العباس القرطبي، أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي، (ت: 656هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (22/68–69)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1996م.

الأمراض القلبية لديه، والمسلم حينما يذكر الله تثقل موازينه بالحسنات، لكن عندما يذكره الله يعطيه الرحمة والأمن، فعطاء الله يختلف عن عطاء المخلوق.

ثالثاً: الذكر يحيي القلوب الميتة ويليّن القلوب القاسية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[1]، هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف، والاستجابة هنا هي الإجابة، والمعنى استجيبوا لما يحييكم إذا دعاكم (اللام) بمعنى إلى، أي استجيبوا إلى ما يحييكم، أي: ما يحيي دينكم وقلوبكم، وهذا إحياء مستعار، لأنه من موت الكفر والجهل[2].

رابعاً: ذكر الله يؤدي إلى الخوف منه والخشوع له، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[3]. "أي خافت وخشعت قلوبهم من ذكر الله، فهم الآمنون المستسلمون لقضاء الله"[4].

خامساً: الذي يذكر الله يحصل على الأجر العظيم والفوز بالمغفرة والجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[5]، هذه الآية فيها ثلاثة أوجه:

---

[1] سورة الأنفال، آية (24).

[2] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (389/7).

[3] سورة الحج، آية (35).

[4] ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، (373/5)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون_ بيروت، الطبعة :الأولى، 1419هـ.

[5] سورة الأحزاب، آية (35).

أحدها: باللسان، والثاني: التالون لكتابه، والثالث: المصلون والمصليات، قال قتادة[1]: وكانت هذه الآية أول آية نزلت في النساء فذكرن بخير[2]. والذاكر الله كثيراً: مَن لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما، وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر[3].

ومما يظهر الأجر العظيم لمن يذكر الله تعالى، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ**" **قَالَ: "فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا" قَالَ: "فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ"، قَالَ: "فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟"، قَالَ: "فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟"، قَالَ: "فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟"، قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا"، قَالَ: "يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِنِي؟، "قَالَ: "يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ"، قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟"، قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا"، قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟"، قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ "، قَالَ: "يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ"، قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟"، قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا"، قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ "قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً"، قَالَ:**

---

[1] هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير، أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى، كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء ووصفه أحمد بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، قال: قلما تجد من يتقدمه، توفي سنة سبع عشرة ومائة وعمره سبعة وخمسون عاما، انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (301/3).

[2] انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب المصري البغدادي، (ت: 450هـ)، (404/4)، **النكت والعيون**، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان.

[3] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**،(538/3-539)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة.

"فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ"، قَالَ: "يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: "هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"[1].

وقيل في شرح هذا الحديث إن المراد بمجالس الذكر: "هي التي تشتمل على ذكر الله بأنواعه من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء، وهؤلاء القوم لا يشقى جليسهم: أي لا يشقى أي شخص جلس معهم، وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لَسَعِدَ بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود، وفي الحديث أيضاً فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم من مغفرة وعفو، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر"[2].

وهذا الحديث إن دلّ على شيء إنما يدل على فضل ورفعة مجالس الذكر، وما لها من قيمة عالية في أهل السماء قبل أهل الأرض، إذ أن الله يباهي بها الملائكة.

ومما يدل في فضل الذكر غير ما تقدّم، أن الله حث المسلمين على المداومة عليه في جميع أوقاتهم، وفي كل أمورهم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[3].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم (6408)، (86/8).

[2] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (213/11).

[3] سورة النساء، آية (103).

وقال بعضهم: أي أن الذكر كيفما كنتم وكما كنتم، وأما الصلاة فإذا اطمأننتم، وأما القلوب فإياكم والغيبة عن الحقيقة لحظة كيفما اختلفت الأحوال، وحضور القلب بالذكر مسرمد غير منقطع[1].

"ففي هذه الآية يحث الله المسلمين على المداومة على الذكر في جميع الأحوال، حتى عند الحرب والنزال، فالمقصود من هذه الآية مواصلة الذكر بعد الانتهاء من صلاة الخوف"[2].

ومن الأدلة التي تبين فضل الذكر والذاكرين كذلك ما رواه أبو موسى الأشعري[3] ﷺ قال: قال النبيﷺ: "**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**"[4]، **وجاء في لفظ مسلم: "مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميِّت**"[5].

قال صاحب كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري): "إن الذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السَّكَن، وإنّ إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت، فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة"[6].

---

[1] انظر: القشيري، **لطائف الإشارات**، (358/1-359).

[2] حسنين محمد مخلوف، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، ص129، لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس الهجري، الإمارات العربية المتحدة.

[3] هو: عبد اللَّه بْن قيس بْن سليم بْن حضار بْن حرب بْن عَامِر بْن عنز بْن بَكْر بْنُ عَامِر بْن عذر بْن وائل بْن ناجية بْن الجماهر بْنُ الأشعر بْن أدد بْن زَيْد بْن يشجب أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي، صاحب رَسُول اللَّه ﷺ. واسم الأشعر نبت، وأمه ظبية بنت وهب، امرأة من عك، أسلمت وماتت بالمدينة، ذكر الواقدي أن أبا مُوسَى قدم مكَّة، فحالف أبا أحيحة سَعِيد بْن العاص بْن أمية، وكان قدومه مَعَ إخوته فِي جماعة من الأشعريين، ثمّ أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة، (انظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، (ت: 463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (979/3-980)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ/1992م، وابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: 630هـ)، **أسد الغابة**، (263/3)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم(6407)، (86/8).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم(779)، (539/1).

[6] ابن حَجَر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (210/11).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على الأثر الذي يحدثه الذكر في النفس، إذ إن الذاكر لله بلسانه وقلبه وتفكيره هو إنسان حي القلب والروح، والذي لا يذكر ربه هو إنسان ميت الروح والقلب.

نخلص مما سبق أن للذكر فضلاً عظيماً وفاعلية كبيرة في ضخ الطاقة الروحية، وفي حالة العزوف عنه يختل توازن المرء ويصبح إشارة حمراء خطرة تستدعي التزود فورا بأصناف الذكر، واختيار الطريقة الأنسب له، والنصوص القرآنية توضح أن الذكر يجب أن يكون الدافع الأساس للمسلم، ولا يتوقف عند مغريات الدنيا، إذ أنه يحفظ صاحبه ويقربه من ربه، وهو لازم من لوازم الإيمان بالله.

المطلب الثاني: بيان حُكْم الذكر

الذكر هو ترجمان المسلم الصادق وعنوانه، ولما كان المسلم دائراً في رحاب التكليف الشرعي، فطريقه تقوم على الاتباع الواعي؛ فلا تحّل العبادة بالابتداع أثناء الممارسة لشعائر الإسلام المختلفة، فكان لزاماً علي هنا أن أبين حكم الإسلام في الذكر من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وما أصّله السادة علماؤنا الكرام.

"إن الذكر محبوب مطلوب من كل أحد، مرغَّب فيه، مندوب إليه في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها، وعليه، فذكر الله مما تجري عليه الأحكام التكليفية، فقد يكون واجباً أو مستحباً أو مكروهاً أو محرماً"[1].

---

[1] ابن علان، محمد الصديق الشافعي الأشعري المكي، (ت:1057م)، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، ص143، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ومحيي الدين ديب مستو، **لوامع الأنوار شرح كتاب الأذكار**، (45/1)، دار ابن كثير، النشر والتوزيع– دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى.

أولاً: حالات الوجوب: قال صاحب كتاب (المفهم) تعليقاً على آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]: "وهذا السياق يدل على أن الذكر الكثير واجب، وذلك أنه لم يكتف بالأمر حتى أكدّه بالمصدر، وأكده بصفته، فظهر أنه ذِكْر كثير واجب، ولا يُقصد ذكر اللسان دائماً، بل أحياناً يكون المقصود ذكر القلب"[2]، هذا الأصل في المسألة: الإكثار من ذكر الله، وأنه واجب، أما متى يكون واجبا، فهو ما أبينه في السطور التالية:

"يكون الذكر واجباً في مواضع، كبعض أذكار الصلاة، كتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، فهي ركن من أركان الصلاة، أو هي واجبة فيها، على اختلاف الأقوال في المسألة. وكذلك الأذان والإقامة، على القول بوجوبهما على الكفاية، والتسمية على الذبيحة"[3].

"وفي باب وجوب ذكر الله يذكر صاحب كتاب (أحكام القرآن) في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[4] أن تضمن الأمر بذكر الله تعالى، وذكرنا إياه على وجوه، وقد روي فيه أقاويل عن السلف منها: اذكروني بطاعتي أذكرْكم برحمتي، اذكروني بالشكر أذكرْكم بالثواب، اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة، واللفظ محتمل لهذه المعاني، وجميعها مراد الله تعالى لشمول اللفظ واحتماله إياه، فجميع وجوه الذكر على اختلافها راجعة إلى معنى واحد، فإن ذكر الله تعالى فيه معنى الطاعة، والطاعة تارة

---

[1] سورة الأحزاب، آية (41).

[2] أبو العباس القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**،(10/7).

[3] **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (222/21)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة: الثانية، دار السلاسل– الكويت.

[4] سورة البقرة، آية (152).

باللسان وتارة بالعمل وتارة بالقول وتارة بالفكر، فجاز أن يُراد بها جميع الطاعات على اختلافها إذا ورد بها الأمر مطلقاً"[1].

ثانياً: حالات الاستحباب: ويكون مستحباً في أحوال كثيرة، فمن الذكر المستحب: الذكر في الصباح والمساء، وعند النوم والاستيقاظ منه، وعند دخول المسجد أو المنزل، أو غير ذلك، ودليل استحبابه والترغيب فيه أن الله عز وجل أمر به في آيات كثيرة من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3]، "حيث علّق الفلاح واستدامته وكثرته بذكر الله تعالى"[4].

ومن الأدلة على الاستحباب أيضا أن الله تعالى أثنى على أهل الذكر وأخبر بما أعدّ لهم من الجنة والمغفرة[5]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ ، إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[6]، قال القرطبي: "الذاكر في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً،

---

[1] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، (ت: 370هـ)، **أحكام القرآن**، (114/1)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

[2] سورة الأحزاب، آية (41).

[3] سورة الأنفال، آية (45).

[4] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (397/2).

[5] انظر: المصدر نفسه، (397/2).

[6] سورة الأحزاب: آية (35).

وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم"، وقال مجاهد[1]: "لا يكون ذاكراً لله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضجعاً"[2].

ومن الأدلة على استحبابه أيضاً أن الله سبحانه جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم إياه، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3].

قال الزمخشري[4]: "اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب"[5]، "وهو أمر وجوابه، وفيه معنى المجازاة"[6].

ثالثاً: حالات الكراهة: ويكون الذكر مكروهاً أيضاً، وذلك في أحوال معينة: كحال قضاء الحاجة أو الجماع، قال ابن علان: "الذكر عند نفس قضاء الحاجة أو الجماع لا يكره بالقلب بالإجماع، وأما الذكر باللسان حينئذٍ فليس مما شرع لنا، ولا ندبنا إليه النبي ﷺ، ولا نُقِلَ عن أحد من الصحابة، بل يكفي في هذه الحال الحياء والمراقبة"[7].

---

[1] هو: شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس ﷺ وأخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، وعن عائشة، وأبي هريرة، الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (405/4)**.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن، (186/14)**.

[3] سورة البقرة، آية (152).

[4] هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، (467هـ- 538هـ = 1075م- 1144م)، ولد في زمخشر، من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية، من قرى خوارزم فتوفي فيها، الإمام الكبير في التّفسير والحديث والنّحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره ، تُشدّ إليه الرّحال في فنونه. صنّف (الكشّاف) في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله، وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به. (انظر: ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (168/5)**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر_بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م، والزركلي، **الأعلام، (178/7)**.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (206/1)**.

[6] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني، (ت: 1250هـ)، **فتح القدير، (157/1)**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت.

[7] ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، (143/1)**.

وأما عن حديث رسول الله ﷺ عن الذكر عند الجماع، فعن عباس رضي الله عنهما[1] قال: قال النبي ﷺ: "**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**"[2]. فلعلّ النبي ﷺ أراد به الذكر قبل البدء بالجماع وليس أثناء الجماع.

قيل: المراد بأنه لا يضره أن لا يصرعه الشيطان، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته[3].

أما عن الحالة الأخرى فهي أن يتضمن الذكر نقصاً، مثل ما كانوا يقولونه في أول الإسلام: السلام على الله من عباده، فعن عبد الله بن مسعود[4]، قَالَ: **كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ**

---

[1] هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصح أبي الجليل، ولد بمكة عام 3ق.هـ، ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها عام: 68هـ، له في الصحيحين وغير هما 1660 حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس، (انظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (121/4–129)، والزركلي، **الاعلام**، (95/4)).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، حديث رقم(1435)، (1058/2).

[3] النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص897.

[4] هو: عبد الله بن مسعود بن غافل من خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن بن الهذلي، حليف بني زهرة، ممن شهد بدرا وسائر المشاهد وكان من فقهاء الصحابة عليهم أجمعين سكن الكوفة مرة كان يلي بيت المال بها ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين وأوصى أن يدفن بجنب قبر عثمان بن مظعون فصلى عليه الزبير بن العوام ودفن بالبقيع وكان له يوم مات بضع وستون سنة كان إسلامه قديما في أول الإسلام، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله ﷺ، وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم، فدرت عليه لبنا غزيرا. (انظر:ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، ص29، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة: الأولى 1411 هـ/1991م، وابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (987/3–993)، وابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (381/3).

اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ..."[1]، "أشار بذلك إلى أن (السلام) إنما يطلب لمن يحتاج إليه، والله هو (السلام) فالسلام يطلب منه لا يطلب له، بل يثنى عليه"[2].

قال صاحب كتاب (أعلام الحديث): "إن الله هو السلام، يريد أن الله هو السلام، فلا تقول السلام على الله، فمنه السلام بدأ وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافة السلام إلى صفات الله تعالى أنه ذو السلامة من كل نقص وعيب، وقد يحتمل ذلك وجهاً آخر، وهو أن يكون مرجوعها إلى حظ العبد وحاجته فيما يبتغيه من السلامة من الآفات، ولذلك جعل هذا الاسم تحية بين المسلمين، ولما وجدهم النبي ﷺ يستعملونه في الثناء على الله عز وجل أمرهم أن يصرفوه إلى خطاب الخلق لحاجتهم إلى السلام، لأن الله غني عن هذا أما التحيات فإنها لا تليق لغيره ولا تبتذل في تحية من سواه"[3].

رابعاً: حالات التحريم: ويكون الذكر حراماً كذلك، وذلك كأن يتضمن شركاً، كتلبية أهل الجاهلية (لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك)، ويحرم الذكر في حالة الاستخفاف بمقام الله عند البدء بالمعصية[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، حديث رقم (835)، (167/1).

[2] **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (223/21).

[3] الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد، (ت: 388هـ)، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، (548/1-549)، تحقيق: محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي- السعودية، الطبعة: الأولى، 1409هـ/1988م.

[4] الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحنفي، (ت: 1231هـ)، **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**،(3/1)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ/1997م.

الفصل الثاني: مفهوم النفس والأثر النفسي لذكر اللّه

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مفهوم النفس وبيان أنواعها

المبحث الثاني: الأثر النفسي لذكر الله

المبحث الأول: مفهوم النفس وبيان أنواعها

إن الذكر تتجلى انعكاساته بمدى تأثيره على النفس الإنسانية وتفاعلها مع صداه، وحتى تتضح هذه العلاقة لا بد من توضيح مفهوم النفس والمعاني التي جاءت في القرآن الكريم لتبين هذا المفهوم، مع ذكر أنواع النفوس في القرآن، وهذا ما سأذكره في هذا المبحث في المطالب الخمسة التالية:

المطلب الأول: النفس لغةً

النفس لغة: "النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، وإليه يرجع فروعه"[1]. "وقيل المراد بها الروح، والناس مختلفون فيها اختلافاً شديداً"[2] "والمراد بالنفس أيضاً الذوات، والأجسام، والأرواح، الضمير"[3].

وتطلق النفس أيضاً على أمور أخرى كما جاء في القاموس المحيط، منها[4]:

1. عين الشيء: نفْسه.
2. السعة والري: ومنه شراب ذو نفس أي ذو سعة وري.
3. النفيس: المال الكثير.
4. النفس: الروح.

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، (ت: 395هـ)، (460/5)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، وينظر في قريب من هذا التحديد لأصل معنى نفس، الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص818.

[2] السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت: 756هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (204/4)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1996م.

[3] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، ص114، الطبعة: الثانية، 1409/1989م.

[4] انظر: الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، (578/1)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة 1426هـ/2005م.

من ناحية اللغة: "هو جريان الريح والنسيم أي ما يطلق عليه الحركة، ومنه كان تنوع المعنى حسب الاستعمال اللغوي له. فتارة جاء بمعنى الروح، وتارة بمعنى الذات، وتارة بمعنى الدم وذلك لجريانه، وأرى أن السبب في تعدد المعاني يعود إلى ما في النفس الإنسانية من وجود هذه المعاني ذات الطبع المتحرك، والنفس الإنسانية التي تجري وتتحرك فيها الأطوار والوساوس والخواطر"[1].

وعلى ضوء المعنى اللغوي السابق للنفس يتبين لنا أن لها معان مختلفة، والذي يهمنا هو ما له علاقة بالذكر وتأثيراته.

المطلب الثاني: النفس في الاصطلاح

يعرف الجرجاني[2] النفس بأنها: "الجوهر البخاري اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[3].

ويرى صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) أن النفس لفظ مشترك بين عدة معانٍ، ويتعلق بغرضنا منه معنيان، أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف؛ لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة عند الإنسان، فيقولون: لا بّد من مجاهدة النفس وكسرها، والثاني: هي اللطيفة، أو هي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة، بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس

---

[1] النتشة، جواد بحر، **عالم الأنفس**، ص68، مطبعة بابل الفنية، فلسطين– حلحول، الطبعة: الأولى، 1427هـ/2006م.

[2] هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو (قرب استراباد)، عام 740هـ، ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام فيها إلى أن توفي عام 816هـ، له نحو خمسين مصنفا، منها "التعريفات" و " شرح مواقف الإيجي" و " شرح كتاب الجغميني" (انظر: نويهض، عادل، **معجم المفسرين**، (380/1) والزركلي، **الأعلام**، (5/7).

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (ت: 816هـ)، **التعريفات**، (242/1)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ/1983م.

المطمئنة، وإن لم يتم سكونها صارت مدافعة للنفس الشهوانية سميت النفس اللوامة، وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت الشهوات سميت النفس الأمارة بالسوء[1]، وهذا ما سأتناوله في المبحث القادم الذي يدور حول أنواع النفس.

ونلحظ أن المعنى اللغوي ينسجم مع ما يتضمنه المعنى الاصطلاحي من ذكر الحركة، كما تقدّم في تعريف الجرجاني وهو عائد إلى أصل المعنى اللغوي لكلمة نفس، أما صاحب كتاب إحياء علوم الدين فقد ارتقى بالفكر الفلسفي، حيث جمع بين العلوم النظرية (علوم المكاشفة) وذلك حين نظر إلى النفس كماهيّة مجردة بين العلوم العملية (علوم المعاملة) وذلك حين نظر إلى نشاطها وفعاليتها[2]. وبهذا يكون صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) قد مهّد الطريق لعلم النفس الحديث الذي ظهر بعد مئات السنين.

وأرى أنه على الرغم من اختلاف التصورات، فإن المعنى الجامع لها هو أن النفس في الجوهر هي الجسم المدرِك، والفاعل المحرِّك للبدن والآلة.

المطلب الثالث: أوجه ورود كلمة النفس في القرآن الكريم[3]

سأذكر هنا عشرة أوجه ورد ذكر النفس فيها في القرآن الكريم، وهي كما يلي:

الوجه الأول: يعني القلوب، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ ﴾[4].

الوجه الثاني: أنفسكم يعني منكم ومن جنسكم، قال تعالى:﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[5].

---

[1] انظر: الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**– شرح عجائب القلب، (5/3)، دار المعرفة– بيروت.

[2] نجاتي، محمد عثمان، **دراسات نفسية عند المسلمين**، ص23، مكتبة دار الشروق، الطبعة: الأولى، 1414هـ/1993م.

[3] انظر: الدامغاني، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، ص449–450.

[4] سورة النجم، آية (23).

[5] سورة التوبة، آية (128).

الوجه الثالث: النفس يعني الإنسان، قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾[1].

الوجه الرابع: تقتلون أنفسكم، يعني يقتل بعضكم بعضاً، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ ﴾[2].

الوجه الخامس: الأنفس يعني الأرواح، كقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾[3].

الوجه السادس: أنفسكم يعني أهل دينكم، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾[4].

الوجه السابع: أنفسكم يعني نفسه، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[5].

الوجه الثامن: النفس يعني العقوبة، قال عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[6].

الوجه التاسع: النفس يعني الأم، قال تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا ﴾[7].

وقال صاحب كتاب (الإنسان في القرآن) : "إن النفس في بيان القرآن الكريم قريبة إلى الطبع، أو القوة الحيوية التي تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية، وتأتي في مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التي يدركها النوم، والقوة التي يزهقها القتل، والقوة التي تحس النعمة والعذاب،

---

[1] سورة المائدة، آية (45).
[2] سورة البقرة، آية (85).
[3] سورة الزمر، آية (42).
[4] سورة النساء، آية (29).
[5] سورة النساء، آية (66).
[6] سورة آل عمران، آية (30).
[7] سورة النور، آية (12).

وتُلهم الفجور والتقوى، وتُحاسب على ما تعمل من حسنة وسيئة؛ فهي القوة التي تعمل وتريد، مهتدية بهدى العقل، أو منقادة لنوازع الطبع والهوى، وتوضع لها الموازين القسط يوم القيامة"[1].

المطلب الرابع: النفس والروح

الإنسان بنيان الله، وهو مُستخلَفٌ في هذه الأرض، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وحقيقة الاستخلاف هي إقامة منهاج الله، ولقد خلق الله الإنسان من قبضةٍ من طين، ونفخ فيه من روحه عز شأنه، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[3]، وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4].

والنَّفس تُطلَق على الإنسان كله أو بعضه، وكذلك تطلق على الروح، فهل النَّفس والروح لفظتان مترادفتان، أم أن لكل واحد منهما معنى مستقلاّ؟

بين العلماء أن هناك فرقٌ بين النفس والروح، ونقل ابن القيم رحمه الله بعض آراء العلماء فيها[5]:

الرأي الأول: النفس طينية، والروح نورية روحانية.

---

[1] العقاد، عباس محمود، **الإنسان في القرآن**، ص29، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة– مصر.

[2] سورة البقرة، آية (30).

[3] سورة المؤمنون، آية (12).

[4] سورة الحجر، آية (29).

[5] انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:751هـ)، **التبيان في أقسام القرآن**، ص188، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت– لبنان.

الرأي الثاني: الروح لا هوتيه[1]، والنفس ناسوتيه[2]، وأن الخلق بها ابْتُلِيَ.

الرأي الثالث: الروح غير النَّفس، والنَّفس غير الروح، وقوام النَّفس بالروح، والنفس صورة العبد، والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها.

الرأي الرابع: الروح غير النَّفس فالإنسان حياة وروحٌ ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، وتبقى الحياة والروح في الجسد، فيه يتقلب ويتنفس.

الرأي الخامس: الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعِلْمها على الخلق.

الرأي السادس: الأرواح نور من الله وحياة من حياة الله.

أما صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) فيرى أن الروح تعني النفس والقلب، وهو ما يدل على أنه يريد بهما معنى واحداً[3].

---

[1] اللاهوتية: الألوهية، واللاهوت لفظ عبراني، يقال لله لاهوت وللإنسان ناسوت وعلم اللاهوت هو: علمٌ يبحث في العقائد المتعلّقة بالله تعالى، كوجوده وذاته وصفاته والإيمان بالنُّصوص المقدَّسة وسلطان الكنيسة ، ويقوم عند المسيحيّين مقام علم الكلام عند المسلمين، ويسمى أيضاً بعلم الربوبية والإلهيات، (انظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسينين عبد الله البغدادي محب الدين،(ت:616هـ)، **شرح ديوان المتنبي**، (31/4)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة–بيروت، وأحمد مختار عبد الحميد، (ت: 1424هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (1987/3)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، والمنتدى الإسلامي، مجلة البيان(عدد:238)، ص23.

[2] الناسوتية: الإنسانية، والناسوت أي الطبيعة البشرية، ويقابله اللاهوت وهو الألوهية، (انظر: دوزي، رينهارت بيتر آن، (ت: 1300هـ)، **تكملة المعاجم العربية**، (335/10)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام– العراق، الطبعة: الأولى، من 1979م–2000م).

[3] انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/3).

وقال الإمام السهيلي[1]: إن الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى، وضرب مثالاً في الماء، فالماء في الْعِنَبَةِ هو الماء باعتبار الأصل وَالْبَدْأَةِ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة، وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخرى، فتسميه مصطاراً[2] إن شئت، أو خمراً إن شئت، فمن قال إن النفس هي الروح على الإطلاق من غير تقييد، فلم يحسن العبارة، وإنما فيها من الروح الأوصاف التي تقتضيها نفخة الملك، والملك موصوف بكل خلق كريم[3].

أما صاحب كتاب (الروح) فقد قال: إنما سميت الروح روحاً لأنَّ بها حياة البدن، وسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها، وسميت نفساً إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء، فلكثرة دخولها وخروجها في البدن سميت نفساً، والفرق بين النفس والروح فرقٌ بالصفات لا بالذات، وَإِنَّمَا سمي الدَّم نفسا لِأَن خُرُوجه الَّذِي يكون مَعَه الْمَوْت يلازم خُرُوج النَّفس، وَإِن الْحَيَاة لَا تتمّ إِلَّا بِهِ كَمَا لَا تتمّ إِلَّا بِالنَّفسِ[4].

---

[1] هو: السهيلي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، ولد في مالقة، وعمي وعمره 17 سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها: (يامن يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعدّ لكل ما يتوقع) من كتبه (الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام)، و(التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والإعلام). (انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (143/3)، الزركلي، **الأعلام**، (313/3)).

[2] المصطار: عصير الخمر قبل طبخه، أي سلافة العنب، وقيل الحديثة والمتغيرة الطعم والريح،(انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (455/4)، ومرتضى الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة نفس، (314/12)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ودوزي، **تكملة المعاجم العربية**، (443/6)).

[3] انظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، (ت:581هـ)، **الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام**، (98/3)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2000م.

[4] انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **الروح**، (218/1)، دار الكتب العلمية– بيروت.

والذي أميل إليه هو الرأي الرابع الذي يقول إن الروح غير النفس، لأن الإنسان حين نومه تخرج منه النفس، وتبقى حياته وروحه في جسده، فيها يتقلب ويتنفس، وعليه لو كانت النفس بمعنى الروح فإنه عند خروجها يموت الإنسان.

المطلب الخامس: النفس من الذكر إلى الفكر

أشرف حال للنفس البشرية أن تكون ذاكرة لربها، ومفكرة في نفسها، مما يوصلها إلى تعظيم ربها؛ ويتبين هذا فيما يلي:

أولاً: النفس والتفكر فيها ومعرفتها: قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1]: "التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين، والمعنى: من سار في الأرض رأى آياتٍ وعبراً، ومن تفكر في نفسه عَلِمَ أنه خُلق ليعبد الله، وقوله تعالى: (أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) يعني بصر القلب، ليعرفوا كمال قدرته"[2].

وقال صاحب كتاب (التحرير والتنوير) في تفسير ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، فالتقدير: وفي أنفسكم آيات أفلا تبصرون، والخطاب موجه إلى المشركين، والاستفهام إنكاري، أنكر عليهم عدم الإبصار للآيات، والإبصار مستعار للتدبر والتفكر، أي: كيف تتركون النظر في آياته الكائنة في أنفسكم [3].

وفي (شرح العقيدة الطحاوية) أن "توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطرة، وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كانت نطفة ثم صارت النطفة في قرار مكين، وانقطع عنها تدبير الأبوين

---

[1] سورة الذاريات، آية (21).

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (40/17).

[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (353/26).

وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدروا"[1]. قال قتادة: "من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خُلِق ولُيّنتْ مفاصله للعبادة"[2].

وإذا تعرف الإنسان على فاطره وخالقه، وعمل بأوامره وانتهى عما نهى عنه، فإن ذلك الإنسان جدير بأن يكون خليفة الله في أرضه، وقد قيل في هذا المعنى: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك[3].

فمعرفة النفس تؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وتحمل صاحبها على أداء الأمانة، وتحقيق الرسالة التي من أجلها خُلقَ، ولأجلها يحيا في هذه الحياة الدنيا، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، فيحظى بعطائه ورضاه، لذلك يستحق أن يكون خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

ثانياً: النفس وذِكْرُ الله فيها، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[5]، ومعنى الآية: أن الله تعالى أمر رسوله بالذكر مقيداً بقيود منها: أن يكون عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه لأن الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب فهو عديم الفائدة، والآخر: حصول التضرع، وقوله (فِي نَفْسِكَ) يعني مشاهدة ذلة العبودية، فالانتقال من الذكر للتضرع يشبه النزول من المعراج، والانتقال من التضرع للذكر يشبه الصعود، وبه يتم معراج الأرواح القدسية، ومن هذه القيود أيضاً قوله (وَخِيفَةً)، وقال: أصلها خوفة فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها،

---

[1] ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء بن محمد الأذرعي الدمشقي،(ت:792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، (247/1)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الأولى، 1426هـ/2005م.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (391/7).

[3] انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت502هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (73/1)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

[4] سورة الذاريات، آية (56).

[5] سورة الأعراف، آية (205).

والخوف يقع على وجوه منها التقصير في الأعمال والخوف من الخاتمة، وخوف من مقابلة نِعَمِ الله التي لا حصر لها، وخيفة وردت بقراءة أخرى (خفية) ويقصد فيها صون الطاعات عن شوائب الرياء والسمعة، وقوله: (وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ) قيد آخر المراد منه أن يقع ذلك الذكر متوسطاً بين الجهر والمخافتة، والذكر اللساني إذا كان بحيث يسمع نفسه فإنه يتأثر الخيال من ذلك الذكر، وتأثر الخيال يوجب قوة في القلب الروحاني، وقيدٌ آخر في قوله: (بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ) معناها أي في هذين الوقتين يحصل نوعان من التغيير العجيب القاهر، فالإنسان ينقلب من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب من النور إلى الظلام، لذلك خصّهم الله بالذكر، والمراد: مداومة الذكر والمواظبة عليه، والقيد الأخير (وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ) دلالة على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائماً بذكر عظمة الله واستحضار جلاله، فكل حالة حصلت في البدن صعدت منها نتائج إلى الروح[1].

المطلب السادس: أوصاف النفس في القرآن الكريم

وقع الاختلاف بين الباحثين في حصر عدد الأوصاف التي وصف بها القرآن الكريم النفس الإنسانية، فمنهم من أوصلها إلى سبعة: أمّارة، ولَوّامة، ومطمئنة، وزكية، ظالمة، مجاهدة، ومنهم من أوصلها إلى اثنتي عشرة وصفاً: النفس المطمئنة، واللوّامة، والزكية، والمجادِلة، والمُلْهَمة، والأمّارة، والمهتدية، المجاهدة، والشاكرة، والصالحة، والشحيحة، والخيّرة[2].

---

[1] انظر: الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب المسمى بـ (التفسير الكبير)**، (15/441-444)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.

[2] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي**، ص83، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- مصر، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1998م.

والظاهر أنه بهذه الطريقة يمكن أن تصل هذه الأوصاف إلى أكثر من ذلك، إلى الحد الذي اعتبرت فيه كل صفة من صفات النفس وصفاً من أوصاف النفس الإنسانية، لذلك ظهرت الحاجة إلى التمييز بين المستويات الأصلية التي تحدد أوصاف النفس، والمستويات الفرعية التي تلحق بها، والمعيار لمعرفة المستويات الأصلية أنها لا تندمج في غيرها، وأنها تصف الحالة العامة للنفس، بحيث تندرج تحتها جزئيات السلوك، وأنها تكون مذكورة في آية من آيات القرآن الكريم[1].

وقد ورد ذكر أوصاف النفس في القرآن الكريم على النحو التالي:

- أولاً: وصف النفس الأمّارة بالسوء.
- ثانياً: وصف النفس اللوامة.
- ثالثاً: وصف النفس المطمئنة.

- **أولاً: وصف النفس الأمارة بالسوء**:

"النفس الأمارة بالسوء تظهر في اضطرابات السلوك الشاذ الغريب"[2]، وقد وصف القرآن الكريم النفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾[3]. ومعنى الآية: ما أبرئ نفسي من محاولة هذا الإثم، لأن النفس أمارة بالسوء، وقد أمرتني بالسوء ولكنه لم يقع، وجملة إنَّ النفس لأمارة بالسوء تعليل لجملة (وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ) أي لا داعي لتبرئة نفسي من ارتكاب الذنب، لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء، والاستثناء في (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ) استثناء من عموم الأزمان، أي أزمان وقوع السوء، بناء على أن

---

[1] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، ص84-85.

[2] عبد العزيز، مفتاح محمد، **القرآن وعلم النفس**، ص21، دار الكتب الوطنية، بنغاري.

[3] سورة يوسف، آية (53).

أمر النفس به يبعث على ارتكابه في كل الأوقات إلا وقت رحمة الله عبده، أي رحمته بأن يقيض له ما يصرفه عن فعل السوء[1].

وقد عّرفت بأنها تلك النفس التي تميل إلى الشهوة والغضب، وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة[2].

"والنفس الأمارة بالسوء عند صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) هي: التي تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان"[3].

وقال ابن القيم: "وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو يعدها ويمنيّها ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويزينه لها، ويطيل في الأمل، ويريها الباطل في صورة تتقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الآمال الكاذبة والشهوات المهلكة، ويستعين عليها بهواها وإرادتها، فمنه يدخل عليها كل مكروه، فما استعان على النفوس بشيء هو أبلغ من هواها وإرادتها إليه"[4].

وقد فسر الجرجاني النفس الأمارة بالسوء بأنها التي تأمر باللذات والشهوات، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة[5].

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (5/13).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (471/18).

[3] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/3).

[4] ابن قيم الجوزية، **الروح**، (227/1).

[5] انظر: الجرجاني، **التعريفات**، (243/1).

وقال الشوكاني[1] في تفسيره: "هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء، بميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفّها عن ذلك"[2].

والأمر بالسوء أحد نوعين من الأوامر التي تصدر عن النفس، فإذا بقيت على أصل الفطرة فإنها لا تأمر إلا بخير، وإذا مالت عن هذا الأصل فإنها تأمر بالسوء، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تتحدث عن النفس الأمارة بالسوء في سياق تعرّضه لسلوك شخصية تاريخية قديمة، هي شخصية ابن آدم القاتل، الذي صدر عنه أول قتل وقع في الأرض؛ قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3][4].

وكما قال سبحانه على لسان امرأة العزيز: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، وكما قال سبحانه على لسان يعقوب عندما ذكر له بنوه أن الذئب أكل يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾[6]، وقال سبحانه على لسان السامري الذي صنع

---

[1] هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان(من بلاد خولان باليمن)، سنة: 1173هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229هـ، وهو: مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم، مات سنة 1250هـ، وله 114 مؤلف. (انظر: محيسن، محمد سالم، (ت: 1422هـ)، **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**، (379/2)، دار الجيل_ بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ/1992م، و الزركلي، **الأعلام**، (298/6)، وقد ترجم الشوكاني لنفسه في كتابه: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (379/2)، دار المعرفة _بيروت).

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (42/3).

[3] سورة المائدة، آية (30).

[4] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، ص87.

[5] سورة يوسف، الآيات (51-53).

[6] سورة يوسف، آية (18).

العجل ودعا بني إسرائيل لعبادته: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾[1][2].

نلاحظ أن هذه الآيات نسبت الأفعال السيئة للنفس واعتبرتها هي الآمرة، وفي مواضع أخرى من كتاب الله نجد الأفعال نفسها منسوبة للشيطان، مثل قوله تعالى عن موسى لما دفع المصري فكان في تلك الدفعة أجله: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، وكما في قوله تعالى على لسان يوسف بعد انجلاء المحنة عنه ولقائه بأخوته: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، وكما قال سبحانه على لسان الهدهد: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[5][6].

فكيف نسب القرآن الكريم الأمر بالسوء للنفس والشيطان معاً؟ والجواب: أن نسبته إلى الشيطان نسبة إلى الموسوس به، ونسبته إلى النفس نسبة إلى المستجيب له، إذ إن الشيطان يأمر بالسوء أمر وسوسة، والنفس تأمر به أمر تنفيذ، لذلك حمّل القرآن الكريم المسؤولية للنفس، قال تعالى مخبراً عن الشيطان وما يقول لأوليائه يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى

---

[1] سورة طه، آية (96).

[2] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، ص87.

[3] سورة القصص، آية (15).

[4] سورة يوسف، آية (100).

[5] سورة النمل، آية (54).

[6] انظر: محمد عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، ص87.

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1][2].

ومن هنا أرى أن النفس الأمارة بالسوء وهي النفس المسوِّلة تبحث عن شهواتها ولذائذها ورغباتها، وتقوم بتوجيه جوارحها وقواها لتحقيقها، فإن فتحت لها أبواب الهوى والشهوة ولجت فيها، فتعيث فيها فساداً وتزداد ضلالاً وتيهاً، فَتُفْسِد كل ما هو أمامها من صور الخير والجمال فلا تعرف طريقاً للهدوء والراحة والطمأنينة فهي تعيش في ضنك وكدر وشقاء مستمر.

- **ثانياً: وصف النفس اللوامة**

النفس اللوامة: هي التي أقسم الله تعالى بها في قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[3]، واختلف أهل التأويل في قوله (اللوامة) فقال بعضهم: معناها: النفس التي تلوم على فوات الخير وعلى فعل الشر، وقال آخرون: بل اللوامة التي تلوم على ما فات وتندم، وقال آخرون: اللوامة: الفاجرة، وقيل: إنها المذمومة[4].

وقال ابن القيم: "كونها لوامة ينقسم إلى المدح والذم، بحسب ما تلوم عليه، وقال من جعلها من التلوم، فلكثرة ترددها وتلومها، ولأنها لا تستقر على حال واحدة"[5].

---

[1] سورة إبراهيم، آية (22).

[2] انظر: محمد عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، ص88.

[3] سورة القيامة، آية (2).

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (50/24).

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (78/1)، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض– المملكة العربية السعودية.

قال صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم: "إنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات"، و ذُكر عن الحسن البصري قوله: "إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي؟ وأن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه"[1].

وقد عرّفها الجرجاني بأنها: "النفس التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سِنَة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلّتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها"[2].

واختار سيد قطب "النفس اللوامة أي المتيقظة المتوجسة التي تحاسب نفسها وتتلفت حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداعها، هي النفس الكريمة على الله"[3].

وأرى أن النفس اللوامة هي نفس تقاوم ضعفها وتكبح جماحها، وتنتصر مرّة وتضعف مرّة، وتقترب مرّة وتبعد مرّة، فهي في صراع دائم وتجاذب مستمر بين ما يجب عليها أن تفعله من خير وطاعة، وبين ما يجب تركه من شر ومعصية، وهذا ما يسبب لها عدم الاستقرار، فتارة يرفعها العمل الصالح، وتارة يخفضها العمل السيء.

- **ثالثاً: وصف النفس المطمئنة**

وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[4].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (283/8).

[2] الجرجاني، **التعريفات**، ص243.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (7368/6).

[4] سورة الفجر، الآيات (27-30).

إن أسمى حالات النفس أن تكون في مرتبة الطمأنينة، فإذا بلغته نفس ما، فلترسل جيوشها وما آتاها الله تعالى من الطاقة لتحفظ لذاتِها هذه المرتبة، فلا ترتحل عنها أبداً.

والطمأنينة في أصل معناها اللغوي آتية من السكون، يقال: طامنت منه: أي سكنت، والموضع المطمئن هو المنخفض[1].

وعرف صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) النفس المطمئنة بقوله: "اللطيفة التي يحملها الإنسان، فإذا سكنت تحت الأمر، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت بالنفس المطمئنة"[2].

قال القرطبي في تفسير الآية: أي تسكن قلوبهم وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن، وقال: أي تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم، أو تطمئن بذكر فضله وإنعامه، كما تُوجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه. وقيل: تطمئن القلوب بطاعة الله أو بثواب الله[3].

غير أن الطمأنينة لم تتوقف عند هذا الحد من المعنى، بل نالت معنى إضافياً يتضمن الإحساس بالراحة والأمن والأنس، ولعله من هنا قال الفيروز آبادي في بصائره: "الطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس" والطمأنينة أعم من السكينة"[4].

---

[1] انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (422/3).

[2] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (4/3).

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (315/9).

[4] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، (517/3)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

وقال سيد قطب: "النفس المطمئنة هي المطمئنة إلى ربها، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء، والمطمئنة لا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تُلجلج في الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع في اليوم الرعيب"[1].

وفي بيان تأثير القلب في النفس مما يؤدي إلى بلوغها مرتبة الطمأنينة يقول الجرجاني في كتابه التعريفات: "النفس المطمئنة وهي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة"[2].

"والطمأنينة مزيج حلو المذاق، يجمع بين طيب النفس وثباتها، وعدم انزعاجها، وبين أنسها وأمنها واستراحتها، وهي حاصلة نتيجة الالتزام بالأمر الالهي ظاهراً وباطناً"[3].

فبدا مما تقدّم أن هذه النفس تنورت بنور الهداية والرشاد، ونظافة القلب وطهارته وسلامته، فبلغ حالها أن تخلت عن الصفات الذميمة وتحلت بالصفات الجميلة، فارتقت إلى مرتبة الكمال، والاطمئنان والرضا عن قدر الله بها، وأكرمها الله بالسعادة والهناء في الدنيا، والراحة يوم لقائه، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾[4].

وإن سر اطمئنان هذه النفس أنها لا تتخذ غير الطاعة والفضيلة والخير طريقاً لها، ولا تقبل لها منهجاً غير منهج خالقها، الذي خلقها وأكرمها وفضلها على كثير من خلقه، لذا فهي كثيرة البر، والطاعة، والإحسان، ومن هنا صَنّفتُ النفس المطمئنة في أعلى مستويات الصحة النفسية.

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (3907/6).

[2] الجرجاني، **التعريفات**، (243/1).

[3] جواد بحر، **عالم الأنفس**، ص282.

[4] سورة الرعد، آية (28).

وإذا كان الوصف السابق لأنواع النفوس بما تجلى في آي القرآن الكريم وأقوال المفسرين وآراء المفكرين، فإنه يدفعنا إلى أن نقف مبهورين أمام الوصف دون العصف في مرامي سبر غور النفس، والانعتاق من مألوفات الحياة، ورعونات النفس، ويجب أن يوظف كلّ ذلك في علم إجرائي وصفي، وعمل ميداني في تشخيص النفوس اليوم على ضوء الهدي القرآني، لبيان ما علق بها من ران، بسبب تعقيدات الحياة، ثم وضع الخطط وإيجاد المراكز ذات العلاقة التي توجه الأجيال نحو برّ الأمان.

المبحث الثاني: الأثر النفسي لذكر اللّه

إن كل شيء في هذه الحياة لا نرى أثره، ولا نشعر بلذّته، ولا نقطف ثماره، لا يكون قد فُعل بالشكل الصحيح، وهذا ينطبق على أهم شيء في هذه الحياة، ألا وهو علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، الذي خلقنا لهدف سامٍ ونبيلٍ وهو العبادة الخالصة لوجهه الكريم، فهذه العبادات إن لم تؤثر في النفس وتشرح الصدر وتُسعد المرء، فإنها تكون قد أُدِيت بشكل غير كامل، ولا عجب مما أقول، فكم من مُصلٍّ وهو لا يصلي، وكم من حاج وهو لمْ يحج، وكم من ذاكر لله وهو لا يذكر، فالعبادات ليست مجرد طقوس معينة يفعلها المرء ليسقطها عن ظهره، بل هي مصدر لذة كبيرة، لو علمها الملوك لنازعونا عليها بالسيوف، وهذه اللذة لن نصل إليها حتى يكون للعبادة أثر على النفس أولاً، ومن ثم على الجوارح والسلوك.

وحتى يتحقق هذا الأمر لا بدّ من جولة في عالم النفس، لنرى كيف يستطيع الإنسان أن يتأثر بهذه العبادات بحيث لا تكون جافة، ولا مجرد عادة يومية لا متعة فيها، وهذا ما سأتناوله في هذا المبحث حينما أتكلم عن الأثر النفسي للذكر خصوصاً على نفس الذاكر.

وعلى أساس ما تقدم، فقد عقدت هذا المبحث الذي يحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأثر النفسي لذكر اللّه في القرآن الكريم

إن للعبادات أثراً وحلاوة على كيان العابد ينعكسان على صحته النفسية، فكلما ازداد في عبادته وتوثيق صلته بخالقه، برزت علامات السعادة والهناء والعيش الطيب في الدنيا، ومن أهم الآثار التي تنعكس على نفس الإنسان المؤمن حين يذكر ربه بخشوع:

1- **طمأنينة القلب**، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1].

قال سيد قطب: "الآية ترسم صورة شفافة للقلوب المؤمنة في جو من الطمأنينة والأنس والبشاشة والسلام، تطمئن لإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء، ومن كل ضرر، ومن كل شر إلا بما شاء، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة، ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة يعرفها الذين خالطت بشاشةُ الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها للآخرين الذين لا يعرفونها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفرداً بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه"[2].

"فاطمئنان القلب ووَجَلُه لازمانِ من لوازم الإيمان، وكمال المعرفة بالله وعظمته متحققان عند كل مؤمن إذا ذكر الله"[3].

وأرى أن اطمئنان القلب بعد الذكر نتيجة طبيعية لمن ذكر الله بقوله وعقله وفكره ولسانه، إذ أن الإنسان لا يصل إلى مرحلة الاطمئنان هذه إلا بعد أن يكون قد قطع شوطاً في مرحلة الذكر، وليس ما نقصده طبعاً في هذا المقام الذكر الجافّ الخالي من التدبر، لذلك كان لزاماً على الإنسان أن يذكر الله ذكراً واعياً حتى يصل إلى هذه الحالة: الطمأنينة.

---

[1] سورة الرعد، آية (28).

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (206/4).

[3] مرسي، سيد عبد الرحمن، **النفس المطمئنة**، ص26، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى.

2- **تغذية الروح**، حقيقة الإنسان هو تكوُّنه من جسد وروح، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1].

وقال صاحب مفاتيح الغيب: "إن النفخ إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، وظاهر هذا اللفظ يُشعر بأن الروح هي الريح، وإلا لما صحَ وصفها النفخ، وإنما أضاف الله سبحانه روح آدم إلى نفسه تشريفاً له وتكريماً"[2].

وقال صاحب كتاب الخواطر: "والتسوية تعني جعل الشيء صالحاً للمهمة التي تُراد له، وشاء سبحانه أن يسوّي الإنسان في صورة تسمح لنفخ الروح فيه، والنفخ من روح الله لا يعني أن النفخ قد تمّ بدفع الحياة عن طريق الهواء في فم آدم، ولكن الأمر تمثيل لانتشار الروح في جميع أجزاء الجسد"[3].

"التسوية: تعديل ذات الشيء، والنفخ: حقيقته إخراج الهواء مضغوطاً بين الشفتين مضمومتين كالصفير"[4].

هذا، والجسد له غذاؤه، كما أن للروح غذاءها، فالإنسان ليس هذا الغلاف المادي الذي نحسه ونراه، والذي يطلب حظه من طعام الأرض وشرابها، ولكن حقيقة الإنسان كامنة في ذلك الجوهر النفيس الذي صار به إنساناً مكرماً سيداً على ما فوق الأرض من كائنات، ذلك الجوهر هو الروح الذي يجد زكاته في مناجاة الله، وعبادة الله هي التي تمدّ هذا الروح بمدد يومي لا ينفد ولا يغيض، وإن القلب الإنساني دائم الشعور

---

[1] سورة الحجر، الآيتان (28، 29).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (139/19).

[3] الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، **الخواطر المسمى بـ (تفسير الشعراوي)**، (7691/12)، مطابع أخبار اليوم.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (44/14).

بالحاجة إلى الخالق، وهو شعور أصيل صادق لا يملأ فراغه إلا حسن الصلة بالله، وهذا ما تقوم به العبادة إذا أديت على وجهها[1].

"وكما أن البدن في حاجة للطعام والشراب لكي يحيا وينمو، فالروح بحاجة إلى الغذاء لكي تحيا وتزكو وتسمو، وحياتها وزكاتها وسموُّها في مناجاة الله والتقرب إليه"[2].

وكل ما نراه اليوم من تخبط في العالم الغربي، وزيادة في نسب الانتحار، ما هو إلا نتيجة لإهمال الروح رغم تحقّق تغذية الجسد، إذ أن الجسد المُنعّم لا يكفي للشعور بالسعادة، فلا بد من إحياء الروح والاهتمام بتغذيتها، وخصوصاً من الأذكار، إذ أنها تساهم مساهمة كبيرة في الصحة النفسية التي يسعى إليها كل إنسان.

3- **ذكر الله: حضور القلب ووجله وصبره:** إذ أن الله أمر بالذكر حتى نستحضر دائماً عظمته في قلوبنا، فتمتلئ بالخشوع والرهبة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3]، أي خافت وخشعت قلوبهم من ذكر الله، فهم الآمنون المستسلمون لقضاء الله[4]. وقوله: (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، إنما وجلت قلوبهم هيبة منهم لإشراق أشعة جلالِه عليها، والصابرين على ما أصابهم من الغم والمصائب[5].

---

[1] انظر: القرضاوي، يوسف، **العبادة في الإسلام**، ص96-97، مكتبة وهبة، الطبعة: الرابعة والعشرون، 416هـ/1995م.

[2] لبن، علي، **من مبادئ الإسلام**، ص152، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.

[3] سورة الحج، آية (35).

[4] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (373/5).

[5] انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (71/4)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

عنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِم[1]، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما[2] أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ** عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، **وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**"[3]. نزلت عليهم السكينة أي الرحمة، وهو أحد الوجوه في تأويل السكينة في القرآن، وفي هذا دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد[4].

وأرى أن حضور القلب لا ينطبق فقط على الذكر، وإنما جميع العبادات مرهونة بحضور القلب، فالعبادة التي يؤديها المسلم بدون حضور قلبه تكون غير مقبولة، وإن قُبلت تكون قليلة الأجر، فالدعاء مثلاً، والصلاة والحج والزكاة والصدقات كلها عبادات مرهونة بحضور القلب، لأن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلب العبد المؤمن أثناء أداء العبادة، وليس إلى العبادة ذاتها، فإن كان قلبه مع الله ونيته لله وحده قُبلت العبادة، وإن كان قلبه متعلقا بغير الله وإرضائه فإن العبادة لا تُقبل، وهذا ما أطلق عليه العلماء الإخلاص، وبعد تعداد بعض الآثار النفسية للذكر أرى أن الأثر النفسي يكون في تحقيق التوزان بين تلبية حاجات الروح، وبين تلبية حاجات الجسد، وتحقيق التوافق البيئي والاجتماعي وفق الضوابط الشرعية.

---

[1] الأغر أبو مسلم المدني، (ت:91–100هـ)، نزيل الكوفة ثقة من الطبقة الثالثة وهو غير سلمان الأغر الذي يكنى أبا عبد الله (انظر: بشار عواد معروف، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، (1075/2)، وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن احمد، (ت: 852هـ)، **تقريب التهذيب**، (114/1) تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد_ سوريا، الطبعة: الأولى، 1406هـ/1986م).

[2] هو: أبو سعيد سعد بن مالك بْن سنان بْن ثعلبة بْن عُبَيْد بْن الأبجر– وهو خدرة– بْن عوف بْن الحارث بْن الخزرج الأنصاري الخدري. وخدرة وخدارة أخوان بطنان من الأنصار، فأبو سعيد من خدرة، وَأَبُو مسعود من خدارة. وَأَبُو سعيد أخو قتادة بن النعمان لأمه، وَكَانَ من الحفاظ لحديث رَسُول اللَّه ﷺ المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، (انظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، (142/5)).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة الذكر، حديث رقم (2700)، (2074/4).

[4] انظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، (ت: 544هـ)، **شرح صحيح مسلم المسمى ب(إكمال المعلم بفوائد مسلم)**، (195/8)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998م، والنووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، ص1591.

4- **الطمأنينة والأنس بملكوت الله سبحانه وتعالى:** في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا [1].

وفي الحديث عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: "**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**"[2]، قال النووي في شرح هذا الحديث إن المراد بالسكينة هنا الرحمة، وقيل: الطمأنينة والوقار[3].

وذكر القرطبي شارح صحيح مسلم في كتابه (المُفهِم) أن هذه المجالس التي يذكر فيها كلام الله، وأخبار السلف الصالحين، وكلام الأئمة المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الرثة والبدع، قد انعدمت في هذا الزمان، وعوّض عنها مجالس الكذب ومزامير الشيطان[4].

وأرى أن الراحة كل الراحة فيما يذكره هذا الحديث، فمن ملائكة إلى رحمة إلى سكينة ووقار، إلى طمأنينة، جميعها مطالب نفسية نحتاجها اليوم ونلهث وراءها، وما فقدناها إلا لأننا ابتعدنا عن مجالس الذكر، وابتعدنا عما فيها من كنوز نفيسة ثمينة، ترتقي بصحة الإنسان النفسية وتجعله في أفضل حالاته.

---

[1] سورة التوبة، آية (26).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم (6407)، (86/8).

[3] انظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص1591.

[4] انظر: أبو العباس القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (72/22).

المطلب الثاني: الأثر النفسي لذكر الله في السنة النبوية

جاءت السنة النبوية بجملة من النصوص التي تبين أثر الذكر في مجالات مختلفة منها:

أولاً: الرضا القلبي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**"[1].

قال صاحب كتاب (المُفهم) شارحاً هذا الحديث: "إن تلك الأذكار أحب إليه من أن تكون له الدنيا فينفقها في سبيل الله، وفي أوجه البر والخير، فالدنيا من حيث هي دنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذلك هي عند أنبيائه، وأهل معرفته، فكيف لا تكون أحب إليه من ذكر أسماء الله وصفاته، التي يحصل بها ذلك الثواب العظيم، والحظ الجزيل"[2].

وأرى أن هذا الحديث قد أكد على أهمية الأثر النفسي لتلك الأذكار، إذ أنها تعتبر أحب وأفضل من كل شيء طلعت عليه الشمس، وهذا إن دلّ على شيء دلَّ على عناية السنّة البالغة بذكر الله، وتلك الأذكار موجودة في أذكار الصباح والمساء التي أمرنا بها النبي ﷺ في كل صباح ومساء، باعتبارها جرعة دوائية تُعطى للمسلم كل اثنتي عشرة ساعة.

ثانياً: الخشوع المكاني الملازم: ومع حديث آخر في هذه الواحة النبوية الشريفة العامرة بالحكمة الرشيدة، والتي تدل على الأثر النفسي الذي يتركه الذكر في حياة المرء، وهو عن جابر بن عَبْدِ اللَّه رضي

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (2695)، (2072/4).

[2] أبو العباس القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (23/7).

الله عنهِ[1] قال: **كَانَ الْمَسْجِدُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ كَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَت. وَقَالَ فِي آخِرِهِ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، كَانَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكَتُ، كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا. وَفِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه[2]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ حَنِينِ هَذِهِ الْخَشَبَةِ؟ فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَرَقُّوا مِنْ حَنِينِهَا حَتَّى كَثُرَ بُكَاؤُهُمْ[3].**

قوله: (كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ)، أراد: أن الجذوع كانت له كالأعمدة. قوله: (إلى جذع منها)، أي: من تلك الجذوع، وكان إذا خطب يستند إليه. قوله: (كصوت العشار)، بكسر العين المهملة والشين المعجمة، وهو جمع: عشراء، وهي الناقة التي أتت عليها من يوم أُرسل عليها الفحل، واضطربت تلك السارية كحنين الناقة الحلوج، أي التي انتزع منها ولدها، وفي رواية أن النبي ﷺ قال له: **اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه كما كنت؟ يعني: قبل أن تصير جذعاً، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب**

---

[1] هو: جَابِر بْن عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن حرَام بْن ثَعْلَبَة بْن حرَام بْن كَعْب بْن غنم بْن كَعْب بْن سَلمَة من بني جشم بْن الْخَزْرَج الْأَنْصَارِيّ شهد الْعقبَة مَعَ أَبِيه كنيته أَبُو عَبْد اللَّه اسْتغْفر لَهُ النَّبِي ﷺ لَيْلَة الْبَعِير خمْسا وَعشْرين مرّة وَشهد مَعَ النَّبِي ﷺ تسع عشرَة غزَاة مَاتَ سنة ثَمَان أَو تسع وَسبعين بعد أَن عمى وَكَانَ يخضب بالحمرة وَكَانَ لَهُ يَوْم مَاتَ أَربع وَسَبْعُونَ سنة وَصلى عَلَيْهِ أبان بْن عُثْمَان بْن عَفَّان وَهُوَ والى الْمَدِينَة يَوْمئِذٍ، (انظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، **الثقات**، (3/51-52)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393هـ/ 1973م).

[2] هو: سهل بْن سعد بْن مَالك بْن خَالِد بْن ثَعْلَبَة بْن حَارِثَة بْن عَمْرو بْن الْخَزْرَج بْن سَاعِدَة السَّاعِدِيّ من بني سَاعِدَة بْن كَعْب بْن الْخَزْرَج كنيته أَبُو الْعَبَّاس مَاتَ سنة إِحْدَى وَتِسْعين وَقد قيل سنة ثَمَان وَثَمَانِينَ كَانَ اسْمه حزنا فَسَمَاهُ النَّبِي ﷺ سهلا وَهُوَ آخر من مَاتَ من الصَّحَابَة بِالْمَدِينَةِ) انظر: ابن حبان، **الثقات**، (3/52)، وابن الأثير، **أسد الغابة**، (2/320).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، (4/195)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3584).

من أنهارها فيحسن نبتك وتثمر، فتأكل منك أولياء الله تعالى، فقال للنبي ﷺ: أختار أن تغرسني في الجنة[1].

وأرى أن في هذا الحديث إشارة لكل إنسان، وتلك الإشارة هي أن الجمادات خشعت عندما سمعت الذكر وحنّتْ وبكَتْ، فكيف بالإنسان الذي لا يخشع ولا يتأثر ولا يبكي أحياناً بسبب عدم تأثره بهذا الذكر، وبسبب معاملته الجافة للأذكار التي لا روح فيها.

المطلب الثالث: الأثر النفسي لقلة الذكر وتركه

وكما أن القرآن قرن الذكر بالكثرة فإنه ذمّ المنافقين ووصفهم بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، (وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ) فيه قولان، أحدهما: الرياء، لأنه لا يكون إلا ذكراً حقيراً، والثاني: يسيراً لاقتصاره على ما يظهر من التكبير دون القراءة والتسبيح، وإنما قلّ من أجل اعتقادهم لا من ذكرهم، وقيل: لأنه كان لغير الله[3].

(إِلَّا قَلِيلًا) قيل: وصفهم بقلة الذكر لأنهم كانوا لا يذكرون الله بقراءة ولا تسبيح، وقيل: وصفه الله بالقلة لأن الله تعالى لا يقبله[4].

---

[1] انظر: بدر الدين العيني، أبو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي، (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (129/16)، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

[2] سورة النساء، آية (142).

[3] الماوردي، **النكت والعيون**، (538/1).

[4] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (422/5).

وسئل ابن الصلاح[1] عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباح مساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً[2].

أما ذمّ تارك الذكر: قد يظن بعض الناس أن تارك الذكر ينجو من عقوبة الله، فهناك الكثير من الناس يكادون لا يشعرون بما يقع عليهم من عقوبات بسبب تركهم للذكر، فالقلب الميت لا ينفع فيه الطَرْقْ ولا يشعر بما يقع عليه أو ينتفع بشيء، هناك آثار كثيرة لتارك الذكر بينها القرآن وهي كالآتي:

أولاً: **تقييض الشيطان له**، منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3]، الأعشى: هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار، ومعنى الآية: ومن يعش عن الذكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم نقيض له شيطاناً أي: نسيّر له شيطاناً، جزاءً له على كفره فهو(لَهُ قَرِينٌ) قيل في الدنيا يمنعه عن الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، وفي الآخرة يكون له ملازماً عند خروجه من قبره[4].

---

[1] هو: عثمان بن عبد الرحمن الإمام العلامة تقى الدين أبو عمرو بن الصلاح، ابن الإمام البارع أبى القاسم صلاح الدين الكردى الشهرزورى، ولد في شرخان (قرب شهرزور) سنة سبع وسبعين وخمسمائة، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة والبلد محاصرة بالخوارزمية، ودفن بمقابر الصوفية، وعاش شيئًا وستين سنة، من أشهر مؤلفاته) :معرفة أنواع علم الحديث) و يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و(شرح الوسيط) و(في فقه الشافعية) و(صلة الناسك في صفة المناسك). (انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (243/3)، وابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، (ت: 804هـ)، **العقد المذهب في طبقات حملة المذهب**، ص164، تحقيق: أيمن نصر الأزهري– سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1997م، والزركلي، **الأعلام**، (207/4–208)).

[2] ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (126/1).

[3] سورة الزخرف، الآيتان (36–37).

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (90/16).

ثانياً: **المعيشة الضنك**[1]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[2].

الضنك: (الضاد والنون والكاف) أصلان صحيحان وإن قل فروعهما، فالأول الضيق والآخر مرض([3]).

الضنك: مصدر ضَنَك ولكونه مصدراً لم يتغير لفظه باختلاف موصوفه، فوصف به هنا معيشة وهي مؤنث، وقيل الضنك: الضيق، يقال مكان ضنك أي ضيق، ويستعمل مجازاً في عسر الأمور في الحياة، وجعل الله عقابه يوم القيامة أن يكون أعمى، تمثيلاً لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا، وهي حالة عدم النظر في رسائل الهدى والنجاة، وذلك العمى عنوان على غضب الله عليه وإقصائه عن رحمته، فأعمى الأول مجاز وأعمى الثاني حقيقة[4].

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي): أي الهدى الذاكر لي والداعي إلي، أو عن ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه، ولم يتبع هداي فإن له معيشة ضنكا: أي عيشاً ضيقاً في هذه الحياة الدنيا، ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه عيشة هنية غير مهموم ولا مغموم، وجعل لمن لا يتبع هداه عيشاً ضيقاً، وفيه تعب ونصب[5].

---

[1] الرازي، **مختار الصحاح**، (201/1).

[2] سورة طه، آية(124).

[3] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (374/3).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (331/16-332).

[5] انظر: محمد صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، (ت: 1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (290/8)، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا –بيروت، 1412هـ/1992م.

ونحشره يوم القيامة أعمى فيها ثلاثة تأويلات: أحدها أعمى في حال، وبصير في حال، الثاني: أعمى عن الحجة، الثالث: أعمى عن وجهات الخير لا يهتدي لشيء منها[1].

فالإعراض عن ذكر الله وما أنزله على رسله من الشرائع والاحكام يسبب لصاحبه المعيشة القاسية الشديدة وإن تنَّعم ظاهره، كما أنه يحشر يوم القيامة أعمى البصر فنسيان أمر الله والإعراض عنه يجعل حياته في الدنيا ضنكا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره.

ثالثاً: **الخسران والضلال المبين**، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2]، أي: "لا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم"[3].

وقال القرطبي: "المراد بالقاسية قلوبهم، أبو لهب وولده، ومعنى من ذكر الله أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره، وقيل أن (مِن) بمعنى (عن) والمعنى قست قلوبهم عن ذكر الله وهذا اختيار الطبري"[4]، "فقسوة القلب لازمتهم لعدم توجههم إلى ذكر الله فعاشوا في هلاك وخزي وضياع"[5].

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[6] أي: لا تشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال، والاستمتاع بمنافعها، ولا أولادكم وسروركم بهم عن ذكر الله[7].

---

[1] انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (431/3)، وانظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (259/11).

[2] سورة الزمر، آية (22).

[3] ابن كثير، **تفسير القران العظيم**، (83/7).

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (248/15)، والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (277/21).

[5] حسنين محمد مخلوف، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، ص587.

[6] سورة المنافقون، آية (9).

[7] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (544/4).

رابعاً: **صدأ القلوب وغفلتها**: ومن باب تعريف الشيء بضده سوف أعرف الغفلة لأنها ضد الذكر الذي هو محور كلامي في هذا البحث، فالغفلة لغةً تدل: "على ترك الشيء سهواً وربما كان عن عمد، ومن ذلك: غفلت عن الشيء غفلة وغفولاً، وذلك إذا تركته ساهياً، وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له[1].

وعرّف أهل التفسير والاصطلاح الغفلة اصطلاحاً بتعاريف منها: "هي معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور"[2]، وقال بعضهم: "هي متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل: الغفلة عن الشيء هي ألا يخطر ذلك الشيء بباله"[3]، وأورد الشوكاني تعريفاً لها في تفسيره فقال: "الغفلة: ذهاب الشيء عنك لانشغالك بغيره"[4].

وبالتأمل في هذه التعريفات السابقة، يتبين لي أن التعريف الأول والله أعلم هو أقربها للصواب، فهو أشمل في التعيين وأبلغ في التبيين.

وورد ذكر الغفلة في القرآن في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾[5]، أي تركناه غير مكتوب فيه الإيمان، وقيل: معناه من جعلناه غافلاً عن الحقائق[6]. وأصل ذلك كله من الغفلة عن ذكر الله، واتباع الهوى في سخط الله؛ فإنهما يطمسان نور البصيرة[7].

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (386/4)، و الرازي، **مختار الصحاح**، (228/1).

[2] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت:510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (358/4)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

[3] الجرجاني، **التعريفات**، (162/1).

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، (238/2).

[5] سورة الكهف، آية (28).

[6] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص609–610.

[7] بحرق، محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي الشافعي، **الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة**، ص109، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، 1427هـ/2006م.

والذكر فيه التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة تَرْكٌ باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1]، ولم يقل: ولا تكن من الناسين، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف، فلا ينهى عنه[2].

وأرى أن مظاهر الغفلة مستحكمة في نفوس الناس وعقولهم؛ ويفسّر ذلك بعدم رسوخ معاني الإيمان الحق في قلوبهم، وبعزوفهم عن هدي السماء، وغلبة النزعة المادية على نفوسهم، وفي الآونة الأخيرة نجد الأجيال منزوية مع وسائل التواصل الاجتماعي، لاهية قلوبها بما لا طائل منه، تُضيّع نفيس أوقاتها سدى، أو منشغلة بمباريات كرة القدم تحت شعارات التشجيع وإثبات الذات، وكذلك نجد الشباب عاكفاً في المقاهي مدخّنة سامرة ساهرة دون طائل، وهذا كلّه يوضح شرود الناس عن الفكرة العميقة لقيم الإسلام العظيم.

والغفلة دركات، كما أن الذكر درجات؛ والذي يريد أن يرتفع بنفسه من الدركات إلى الدرجات، فعليه أن يتخذ لنفسه برنامجاً من الذكر، يوصله إلى الدرجات العلى فيه؛ ولعله يفيد في هذا الباب ما قاله صاحب (الحكم العطائية): "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور"[3]، قال تعالى: ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[4]، وهذا يعني أن الإنسان يستطيع الترقي من حال أدنى إلى حال أعلى.

---

[1] سورة الأعراف، آية (205).

[2] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، (406/2).

[3] السكندري، تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، **الحكم العطائية**، ص54، مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1408هـ/1988م.

[4] سورة إبراهيم، آية (20).

الفصل الثالث: أسرار الأذكار وآثارها النفسية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: أسرار الأذكار

المبحث الثاني: العبادة الذكية(الذكر) وأثرها في علاج النفس

المبحث الأول: الأذكار: أسرار الأذكار

للأذكار أبعاد لا بد من الالتفات إليها، ولها أسرار عجيبة لا بد من التفكر فيها، وحتى يكتمل الحديث في هذا الباب المهم، جاء هذا المبحث ليجلي هذه المعاني المهمة؛ وقد قسمت هذا المبحث إلى المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الأبعاد التفاعلية للذكر

البعد التفاعلي للذكر: هو ذلك الأثر الواسع الذي يجب أن يُحدثه الذكر في الشخص، ذلك أن الذكر لا يقتصر تأثيره على جانب واحد، بل له العديد من الآثار في شتى نواحي حياة الإنسان وأبعادها الشعائرية والاجتماعية والاقتصادية والكونية.

ومعلوم أن الذكر يشمل كل أحوال الإنسان وكل أوقاته وجميع حاجاته، ويُشبع الجوانب العاطفية والنفسية والروحية لديه، كعاطفته للتعبد، وميله إلى كنف يطمئن إليه، ويغلب على الناس في هذه الأيام أنهم لم يعطوا نفوسهم الوقت والجهد الكافيين لتزكيتها وتحريرها في معامل التربية الإيمانية، والتي تخلصها من آفاتها وتصقلها بفضائل الإيمان وأخلاقياته الرفيعة، فكل أمام نفسه يجب أن يخوض معركة التحرير الشاملة التي تجعله إنساناً حراً عزيزاً كريماً صادقاً مخلصاً عبداً شكوراً لله وحده.

ولا ننكر أن هناك احتلالاً وهيمنة ما للنفس الأمّارة بالسوء وشهواتها، وللشيطان بوعده ووعيده، وتزيينه ووحيه ووسوسته، هناك احتلال وهيمنة للمال ومن يملك منح المال ومنعه، هناك احتلال وهيمنة ما لمن يملك القوة وغرورها، والإعلام والفن، والثقافة والدعاية، والتسويق لسياسات ما أنزل الله بها من سلطان، لذلك قست القلوب وحُشرت العبادة وذِكْر الله في زوايا ضيقة، بينما لو أطلق العنان للذكر، ودخل المعترك الاجتماعي فعل الأعاجيب إذ إنّ الذكر يحوّل النفس (الزنزانة) إلى جنة بشكل ملموس، بعيداً عن الشعارات

النظرية التي يحلو للبعض أن يرددها بلسانه، دون أن يجربها ولو مرة واحدة في عمره، فلو نظرنا إلى عامة الناس فإنهم يذكرون الله بعمق وقوة في الشدائد وعندما تَدْلَهِمّ الخطوب، فإذا انفرجت عادوا إلى غفلة القلب وسباته العميق[1]، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

والهدف من هذا المبحث هو طرق برامج ذات نشاطات محددة توصلنا إلى أبعد مدى ممكن لتجليات الذكر في حياتنا. وسأبدأ بالحديث عن البعد الشعائري للذكر.

أولاً: الذكر والبعد الشعائري

عرّف صاحب كتاب (فلسفة التربية الإسلامية) البعد الشعائري قائلاً: "هو علاقة المسلم بالخالق ورسله وكتبه وملائكته، وتدريب الإنسان على ممارسة الشعائر الدينية المختلفة، وخصوصاً (الذكر) بالكيفية الصحيحة"[3].

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[4]. ومعنى هذه الآية: أقم الصلاة لي، فإنك إذا أقمتها ذكرتني، ومعناها أيضاً: أقم الصلاة لتذكرني فيها[5].

---

[1] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص1، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

[2] سورة هود، آية (12).

[3] الكيلاني، ماجد عرسان، **فلسفة التربية الإسلامية- دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة**، ص84، دار المنارة للنشر والتوزيع، مكتبة المنارة، السعودية- جدة.

[4] سورة طه، آية (14).

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (284/18).

ولهذه الآية ثلاثة تأويلات، أحدها: وأقم الصلاة لتذكرني فيها، وثانيها: وأقم الصلاة بذكري؛ لأنه لا يدخل في الصلاة إلا بذكر الله، وثالثها: أقم الصلاة حين تذكرها[1].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه[2]، **أن رجلا قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ"**[3].

وكلّ ما نراه اليوم من بدع ومخالفات قد أحاطت بنا من كل جانب، وأصبحت تهدد كيان هذا المظهر، أدت إلى تعلق الناس بها، إذ أنّها أصبحت تغلب نوعاً ما على ظاهر حياتهم الدينية، فلكل عبادة مظهر ديني خاص بها، فكما أنّ الصوم امتناع عن الطعام والشراب، وكما أن الصلاة خشوع وتذلل، كذلك الذكر، فإن فيه فكراً وتأملاً يجعل الذاكر يحيا جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، يقول ابن تيمية: "جنتي وبستاني في صدري، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن نفَوْني فنفيي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟"[4].

---

[1] الماوردي، **النكت والعيون**، (397/3).

[2] هو: عبد الله بن بسر المازني، أبو صفوان، ويقال أبو بسر، من بني مازن بن منصور: صحابيّ، كان ممن صلى إلى القبلتين، هُوَ أخو الصماء، مات بالشام سنة ثمانين، وَهُوَ ابْن أربع وتسعين، وَهُوَ آخر من مات بالشام بحمص من أصحاب رسول الله ﷺ، وله 50 حديثاً)، انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (874/3)، وابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (21/4).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم(3375)، (457/5)، الترمذي، ، محمد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث رقم(3793)، (1246/2)، (انظر: ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي) وأحمد في مسنده، حديث رقم(17680)، (226/29)، (انظر: أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:241هـ)، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/2001 م)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني، (انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، (1273/2)، المكتب الإسلامي).

[4] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، (48/1)، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ/1985م.

ويؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾[1] فقد جاء في بعض التفسيرات على معنى أنهم ذاقوا طعمها في الدنيا إنها جنة القرب بيّنها لهم وجعلهم يعرفون منازلهم منها[2]. وقيل: "بيّنها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدي إليه، كأنه كان ساكنه منذ خُلِق"[3].

وتؤكد فلسفة التربية الإسلامية على وجوب تكامل المظاهر الثلاثة "المظهر الشعائري والاجتماعي والكوني" للعبادة ووحدتها؛ لأن الفصل بينها يؤدي إلى تعطيل فاعلية كل منها، ويؤدي إلى خراب المجتمع الذي يمارس هذا الفصل، أو يسمح به ولا يقف في طريقه، وذلك لأسباب هي[4]:

السبب الأول: أن حصر مفهوم العبادة في "المظهر الشعائري" يقود إلى الغفلة عن "المظهر الاجتماعي" وعن "المظهر الكوني" فيتعطل البحث فيهما، وتنحسر العلوم الاجتماعية والكونية أو تنحرف عن غاياتها ومسارها الصحيح، وبذلك ينتهي أمر المجتمع إلى التفكك والانهيار.

والسبب الثاني: أن حصر مفهوم العبادة في "المظهر الشعائري" يؤدي إلى إخراج فريق من المتدينين يتصف بالتواكل والكسل والجبرية، وهذا ما حدث في العصور الإسلامية المتأخرة، حين بهتت مظاهر العبادة، فبهت مفهوم المعرفة، وحَصَرت مؤسسات التربية والتعليم مفهوم العبادة في المظهر الشعائري، فشاعت

---

[1] سورة محمد، آية (6).

[2] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت: 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بـ (تفسير الثعالبي)**، (232/5)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

[3] العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (93/8)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وأبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، (500/8)، دار الفكر، بيروت.

[4] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص85-86.

المشيخة المحترفة والدروشة المحترفة، وشاع الكسل والعجز والجبرية والسلبية إزاء الكوارث من الداخل، والتحديات من الخارج.

والسبب الثالث: أن حصر مفهوم العبادة في "المظهر الشعائري" يحرم المشتغلين في ميادين الاجتماع والكون من التوجيه والإرشاد، فيشيع في حياتهم التمرد على القيم والأخلاق، والتصارع على الدنيا، ويقتصر اهتمامهم عليها[1].

والسبب الرابع: أن حصر مفهوم العبادة في "المظهر الشعائري" يعطل رسالة الدين في الإصلاح الاجتماعي، ويكبله عن محاربة الشر، وهذا هو السبب الذي جعل المترفين في كل جيل ينادون بفصل الدين عن الحياة، وهو نفس السبب الذي جعل الجماهير المظلومة تنطوي تحت لواء المتنكرين للدين[2].

ثانياً: الذكر والبعد الاجتماعي

إنّ إفشاء السلام وإشاعته بين الناس تشريع قرآني، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

وهو ما يبدو عندما تظهر نتائج العبادة في ميادين الثقافة والقيم والعادات والتقاليد واكتشاف القوانين والعلاقات التي ترشد إلى المعرفة، والالتزام بما يرضي الله في هذه الميادين، والوقوف على آثار القرب من الله والبعد عنه، وهذا من شأنه أن ينتج ثمرات المحبة الكاملة، والطاعة الكاملة، وأثرها في سعادة الإنسان وحريته وكرامته[4].

---

[1] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص85-86.

[2] المرجع نفسه، ص87.

[3] سورة النور، آية (61).

[4] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: **(أذكار الأحرار)**، ص5-6، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

ذلك أن للأذكار أبعادا اجتماعية تعمل على ترسيخ العلاقات الاجتماعية وتقويتها وتعزيزها، فهي تعتبر فنا فريدا في توثيق العلاقة التي تربط أفراد المجتمع الواحد، وتعمل على زيادة الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، وأتحدث هنا عن ذكر واحد من الأذكار التي يمكن تسميتها بالذّكر الاجتماعي، كنموذج للذِّكر في بعده الاجتماعي، وهو إفشاء السلام.

وأصل معنى التحية أن تقول: حياك الله تعالى أي: أعطاك سبحانه الحياة ثم عمم لكل دعاء، وطيبة: أي تطيب بها نفس المستمع[1].

ولفظ "السلام" يجمع المعنين، لأنه مشتق من السلامة، فهو دعاء بالسلامة وتأمين بالسلام[2].

فالسلام في هذه الآية (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ) هو التحية، كما فسرته الآية بقولها: (تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً)، ولا يؤمر أحد بأن يسلم على نفسه، وفي كون المعنى: سلّموا على إخوانكم وأهليكم الذين تدخلون عليهم البيوت، ذلك أن الإسلام يعتبر المسلمين كالجسد الواحد، فمن هنا جاء الأمر بالسلام على المسلمين، بصيغة السلام على النفس؛ والتحية: أصلها مصدر حيّاه تحية، ثم أدغمت الياءان تخفيفاً وهي قول: حياك الله، فالتحية مصدر فعل مشتق من الجملة المشتملة على فعل (حيا) مثل قولهم: جزاه، وكانت تحية الملوك "عِمْ صباحاً" فجعل الإسلام التحية كلمة "السلام عليكم" وسماها تحية الإسلام وهي من جوامع الكلم لأن المقصودَ من التحية؛ تأنيسُ الداخل بتأمينه إن كان لا يعرفه واللطف له إن كان معروفاً[3].

---

[1] انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (412/9)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

[2] المرجع نفسه، (304/18).

[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (304/18).

والآية ذاتها تتحدث عن حُكْم الأكل في بيوت الأقارب والأصدقاء، فلما انتهت من بيان هذا الحكم، ومن بيان الحالة التي يكون عليها الأكل، أتت على ذكر بعض آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها، وهو أدب السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[1]. وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين في الآية، فالذي يُسلِّم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه كما تقدم قريباً، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله تحمل ذلك الروح، وتفوح بذلك العطر، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة[2]، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. وحول البعد الاجتماعي الذي يتحقق بإفشاء السلام، وفي سياق تفسيره لقوله تعالى: (على أنفسكم)، قال الشعراوي: "على أنفسكم، لأنك حين تسلم على غيرك كأنك تسلم على نفسك، لأن غيرك هو أيضاً سيسلم عليك ذلك لأن؛ الإسلام يريد أن يجعل المجتمع الإيماني وحدة متماسكة فحين تقول لغيرك: السلام عليكم سيرد: وعليكم السلام، فكأنك تسلم على نفسك"[4].

---

[1] سورة النور، آية (61).

[2] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (2534/4).

[3] سورة البقرة، آية (242).

[4] الشعراوي، **الخواطر**، (10341/17).

وقد اختلف المتأولون في أي البيوت أراد، فقال إبراهيم النخعي[1] أراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها مِن صِنْفِكم، فهذا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] "فإن لم يكن في المساجد أحد فالسلام أن يقول المرء: السلام على رسول الله، وقيل: السلام عليكم، يريد الملائكة، ثم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"[3]. وذُكر عن ابن عباس رضي الله عنه[4] أن المراد هو البيوت المسكونة، وقالوا: يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة، وقال بعضهم: القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، ولا دليل على التخصيص، وأطلق القول؛ ليدخل هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه، فإذا دخل بيتاً لغيره استأذن، وإذا دخل بيتاً لنفسه سلّم[5].

---

[1] هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي الكوفي الإمام المشهور الصالح الزاهد العالم، وهو القائل: ينبغي للقارئ إذا قرأ نحو قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30] ونحو ذلك من الآيات أن يخفض بها صوته وهذا من أحسن آداب القراءة، توفي سنة ست وتسعين وقيل سنة خمس وتسعين، (انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، (ت: 833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر).

[2] سورة البقرة، آية (242).

[3] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي، (ت: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (197/4)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

[4] هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصح أبي الجليل، ولد بمكة عام 3ق.هـ، ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها عام: 68هـ، له في الصحيحين وغير هما 1660 حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس، (انظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (121/4–129)، والزركلي، **الاعلام**، (95/4)).

[5] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (318/12).

وأكدّ النبي ﷺ على أهمية السلام وإفشائه بين الناس، فقد روى عَبْد اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1] **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ "تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"**[2]. إطعام الطعام هو قوام الأبدان، وإفشاء السلام هو خير الأقوال في البر والإكرام، فهو لا يخصّ من عرف أو من لم يعرف، إنما هو عام، حتى يكون خالصاً لله تعالى، بريئاً من حظ النفس، إذ أن الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام لسلامة اللسان، وإفشاء السلام يدل على خفض الجناح للمسلمين والتواضع، والحث على تآلف قلوبهم واجتماع كلمتهم، وفيها الإشارة إلى تعميم السلام[3].

وفي الحديث مشروعية السلام على غير المعرفة استفتاح للمخاطبة للتأنيس؛ ليكون المؤمنون كلهم أخوة فلا يستوحش أحد من أحد[4].

وفي تأكيد أثر السلام على إفشاء المحبة بين المؤمنين، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)**[5].

---

[1] عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، ولد عام(10 ق.هـ)، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئا جهيرا، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وكف بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة، عام، (73هـ)، له في كتب الحديث 2630 حديثا.(انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (340/7)، و ابن حبان، **مشاهير علماء الأمصار**، ص37، والزركلي، **الأعلام**، (108/4)).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، حديث رقم (28)،(12/1) ، وباب إفشاء السلام من الإسلام، حديث رقم(28)، (15/1)).

[3] انظر: العيني، بدر الدين ، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (138/1-139).

[4] انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (21/11).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، رقم (54)، (74/1).

وخَلص الكيلاني في كتابه (فلسفة التربية الإسلامية) إلى أن أول مظاهر التراجع في الدين هو تعطيل المظهر الاجتماعي للعبادة، وقصرُها على الشعائر فقط، وبالتالي قصّ الأجنحة التي تحلق بهم عالياً وتسعى في مناكب الأرض؛ لتقيم الحياة الذاكرة لله[1].

وأرى أن البعد الاجتماعي إن تحقق فإنه يرسّخ مفاهيم التكافل بين أفراد المجتمع، فتذوب الأحقاد ويتبدّد الكِبْر، وتسود المجتمعَ مشاعرُ طيبة بناءة، تهدف إلى بناء صرح كبير من النفوس التي تخلو من الأمراض القلبية، والتي تعمل على إشاعة المحبة والألفة بين الناس.

ثالثاً: الذكر والبعد الاقتصادي

للذكر بُعد آخر قلما ننتبه إلى أهميته في الحياة؛ لأننا ضيقنا الخناق على مفهوم الذكر، ووضعناه في دائرة مغلقة لا تكاد تتجاوز بعض الأزمنة والأمكنة، ويا له من بعد كبير أشاد به القرآن الكريم، وأشادت به السنة النبوية الشريفة، تجنباً للأمة من الوقوع في الفاقة والعوز. يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]، وفي هذه الآية ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾، أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان. (إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا) وهذا منه ترغيب في التوبة.

---

[1] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص92.

[2] سورة نوح، الآيات (10-12).

الثانية: قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]، أي يرسل ماء السماء، ففيه اضمار، مدراراً: ذا غيث كثير.

الثالثة: في هذه الآية والتي في "هود" ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[2] دليل على أن الاستغفار سبب لنزول الرزق والأمطار، وللإمداد بالأموال والبنين، أي يعطي الله أموالاً وأولاداً[3]،"وقيل اطلبوا المغفرة بالتوحيد، حتى يفتح عليكم أبواب نعمته، وذلك لأن الاشتغال بالطاعة يكون سبباً في اتساع الخير والرزق، وأن الكفر سبب لهلاك الدنيا، فإذا اشتغلوا بالإيمان والطاعة حصل ما يحتاجون إليه في الدنيا"[4]، ومعنى هذه الآية: "ارجعوا إلى ربكم وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه مهما كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك"[5].

وكأن هذا الذكر قد تحول من مجرد عبادة إلى خطة اقتصادية كاملة، إذ إن الذَّنْب في الأصل هو الذي يحرم الإنسان من العطايا والأرزاق، وبالغالب يكون الذنب عائقاً وسدّاً منيعاً يحول دون الرزق، فيأتي الاستغفار بما أودعه الله فيه من قوة، وبما في نفس المستغفر من صدق وشفافية، فيُذيب الذنوب ويمحو الخطايا، فتغدو الطريق خالية من أي سد وأي مانع من الرزق، وسأتكلم لاحقاً عن ماهية الاستغفار وحقيقته.

---

[1] سورة نوح آية (11).

[2] سورة هود، آية (5).

[3] انظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت: 373هـ)، **بحر العلوم المسمى بـ (تفسير السمرقندي)**، (500/3)، والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (633/23).

[4] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت: 741هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى بـ (تفسير الخازن)**، (345/4)، دار الفكر، لبنان– بيروت، 1399هـ/1979م.

[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (246/8).

وهناك آيات أخرى لها بعد اقتصادي، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1]، وذكر القرطبي أنها فيها مسألتان، الأولى، وقيل فيها: الجواب مضمر، أي ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون، أما المسألة الثانية وهي رواية النبي ﷺ أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه: "**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ-أَوْ قَالَ: عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ** -؟ "**فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ" إذا قالها العبد قال الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم**[2][3].

قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض من الله تعالى واعتراف بالخضوع له، وأنه لا راد لأمره، لأن العبد لا يملك من الأمر شيئاً، ومعنى الكنز: أنه ثواب مدّخر في الجنة، وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفَسُ أموالكم، وقيل معناه: لا حول في دفع الشر والمعصية، ولا قوة في تحصيل الخير والطاعة إلا بالله[4].

وفي تأصيل أثر الذكر في تحقيق الرفاه الاقتصادي، يأتي شكر المنعم سبحانه وتعالى؛ والشكر لله ذكر ظاهر له سبحانه، فإذا تحقق هذا الذكر مع تحقق ثقافة وبيئة صالحة، بحيث يتحقق من خلالهما تحسين العلاقة مع الله سبحانه، بحسن التجمل في طلب الرزق والسعي نحوه بأسبابه دون كسل أو جشع أو تأفف؛ إن كل ذلك يؤدّي إلى حلول السكينة وتنزل البركات، وهذا وعد رباني، يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[5]،

---

[1] سورة الكهف، آية (39).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم(2704)، (2078/4).

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (406/10).

[4] انظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص1593.

[5] سورة الأعراف، آية (96).

وهذا يعكس دور القيم التربوية الإيمانية وأثرها الحقيقي على الاقتصاد، على عكس ما يقوم عليه النظام الرأسمالي الجشع من حصر الثروة الطائلة بيد عدد من القطط السمان، ويترك جلّ الشعوب فقيرة حائرة لا تستطيع أن تدبر قوت يومها، فالاستغفار المكافئ اليوم هو بتطهير القلوب من الغل والحسد، ونصرة المظلوم، والابتعاد عن الفواحش التي تقوّض الأمم وتطيح بالمنجَزات، وكل ذلك لا يتأتى بدون عزم وإصرار على محاربة الشهوات ومجاهدة النفس.

رابعاً: الذكر والبعد الكوني

لقد خلق الله الكون وما فيه من مخلوقات؛ لأجل عبادته وطاعته، فما من مخلوق من مخلوقات الله إلا وله عبادة خاصة به، والإنسان من هذه المخلوقات، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[1].

قال الشوكاني: "والمراد بالسجود هو الانقياد الكامل، لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء، سواء جعلت كلمة آمن خاصة بالعقلاء أو عامة لهم ولغيرهم"[2].

قال سيد قطب: "ويتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم، وإذا حشد من الجبال والشجر والدوابّ في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، وإذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده

---

[1] سورة الحج، آية (18).

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، (524/3).

دون سواه، وتتجه إليه وحده في وحدة واتساق، إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يتفرق، فيبدو هذا الإنسان عجيباً في ذلك الموكب المتناسق"[1].

قال الشعراوي في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ يعني: "ألم تعلم؛ بأن السجود من هذه الأشياء سجود على حقيقته، كما نعلمه في السجود من أنفسنا، ولكل جنس من أجناس الكون سجود يناسبه، فالبعض يقول عن سجود هذه المخلوقات إنه سجود دلالة، لا سجود على حقيقته، لكن هذا القول يعارضه قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[2]، فلكل مخلوق في هذا الكون مهما صَغُر صلاة وتسبيح وسجود، يتناسب وطبيعته التي فطره الله تعالى عليها"[3].

ويقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[4]، الآية تجعل التسبيح وظيفة الخلق أجمعين، فكلمة شيء الواردة في الآية تجعلها شاملة لكل ما خلقه الله وأبدعه، والتسبيح لغة خاصة لهذه الكائنات، تتعامل فيها مع خالقها، ولطالما كنا نعامل الجمادات بالجمود وعدم النظر إليها، فلما تأمّلت هذه الآية، أصابني ما أصابني من الدهشة بعد ما رأيت ما فيها من انقياد الكون بالعبادة لله، وهذا ما يدعو الإنسانَ العاقل للتوجه إلى الخالق سبحانه وتعالى بصفة دائمة ومتواصلة بالعبادة والطاعة والاستغفار من كل خطيئة، وديمومة التوبة والإنابة إلى الله، والتسبيح والتحميد الدائم له سبحانه، مما يجعل الإنسان يُقبِل إقبال العبد الخاضع لربه بعد أن يرى كل الكائنات تسبح

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (2414/4).

[2] سورة النور، آية (41).

[3] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (9750/16-9751).

[3] سورة الحج، آية (18).

بحمد ربها، فيُقبل على التسبيح بلهفة وتدبّر، وسأقف مع ذكر التسبيح وقفة خاصة في المبحث المقبل بإذن الله، مبينة أثراً جديداً له على الفرد.

قال ابن كثير: وإن من شيء إلا يسبح بحمده، أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله، ولكن لا تفقهون لتسبيحهم، أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس، لأنها بخلاف لغاتكم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: " **وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**"[1]، وفي سنن النسائي عن عبد الرحمن بن عثمان: **أن طبيباً ذكر ضفدعاً في دواء عند رسول الله ﷺ "فنهى رسول الله ﷺ عن قتله**"[2]، وقال عكرمة في قوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح، الاسطوانة هي السارية، وقال بعض السلف: صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه[3].

وقال الشوكاني: فشمل كل ما يسمى شيئاً كائناً ما كان، وقيل: إنه يحمل قوله: ومن فيهن على الملائكة والثقلين، ويحمل (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) على ما عدا ذلك من المخلوقات. وقالت طائفة: إن هذا العموم مخصوص بالملائكة والثقلين دون الجمادات، وقيل: خاص بالأجسام النامية فيدخل النباتات، وقد استدل لذلك بحديث "أن النبي ﷺ مرّ على قبرين" وفيه "ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين، وقال: إنه يخفف

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، **كتاب المناقب**، باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم (3579)،(194/4).

[2] أخرجه ابو داوود في سننه، كتاب الطب، باب في الادوية المكروهة، حديث رقم (3871)، (4/4)، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ت: 275هـ)، **سنن أبي داوود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، والنسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، باب ميتة البحر، حديث رقم (4355)، (210/7)، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت303هـ)، **المجتبى من السنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط2، 1406هـ/1986م.

والحديث صححه الالباني (انظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري ابو عبد الله ولي الدين، (ت: 741هـ)، **مشكاة المصابيح**، (1283/2)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي_بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1985م).

[3] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (73/5-74).

عنهما ما لم ييبسا"[1] ويؤيد حمل الآية على العموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[4]، ونحوها من الآيات، وثبت في الصحيح أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهم يأكلون مع رسول الله ﷺ، ويؤكّد هذا المعنى حديث حنين الجذع، وحديث "أنّ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى النبي ﷺ"[5]، وكلها في الصحيح، ومن ذلك تسبيح الحصى في كفه، ومعنى إلا يسبّح بحمده، أي إلا يسبح متلبساً بحمده[6].

وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[7]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾[8].

"فهذه الآيات تدل على أن كلا من التسبيح والسجود هو من ضروب العبادة لله تعالى، وأن سجود هذه الجمادات هو سجود لله تعالى وتسبيح لجلاله وذكر لأنعمه، وشكر عليها على الحقيقة لا على المجاز،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث رقم (٦٠٢٥)، (١٧/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث رقم (٢٩٢)، (٢٤٠/١).

(2) سورة ص، آية (18).

[3] سورة البقرة، آية (74).

[4] سورة مريم، آية (90).

[5] ونص الحديث هو أن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ "، (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم(2277)، (1782/4)).

[6] انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (274/3)

[7] سورة النحل، آية (49).

[8] سورة الحج، آية (18).

ولكن على أوجه لا نفقهها نحن بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وبدلالة قوله سبحانه: (وَظِلَالُهُم) في سورة الرعد آية(15)، وذكره: (مِن دَآبَّةٍ) في سورة النحل آية(49)، وذكره كلاً من ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾. فكل ما في الوجود يعبد الله تعالى ويسجد لجلاله ويسبح بحمده طوعاً أو كرهاً، ولكن بطرائق يصعب على الإنسان إدراكها"[1].

وآيات التسبيح في القرآن الكريم التي يبلغ عددها أربعاً وسبعين آية تؤكد على أن الكون بكل ما فيه من الملائكة والجن والإنس، ومختلف الكائنات الحية الأخرى، وجميع الجمادات، يسبح لله تعالى ويسجد له، ويحمده ويمجده وينزهه عن كل وصف لا يليق بجلاله[2].

"**حتى الماء يسبح لله تعالى:** الماء سائل عجيب يكمن فيه سر كبير من أسرار الحياة، ولذلك خلق الله تعالى فيه الحياة أولاً، وعاشت فيه كل صور الحياة الباكرة قبل خلق الحياة على اليابسة ببلايين السنين، وتتكون غالبية أجساد الكائنات الحية من الماء، وكل العمليات الحيوية لا تتم في غيبة الماء، ولذلك يسبحه جميع خلقه من الهواء والماء، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، وكل الملائكة، وكثير من عقلاء الإنس والجن، ويغفل عن ذلك الغافلون من أصحاب الإرادة الحرة من الإنس والجن الذين لا يرون هذه الحقيقة، ولا يفقهون لها معنى، وإن رأوها فإنهم لا يرون من ورائها حكمة، ولا يأخذون منها عبرة، ولا يرون للخالق العظيم فيها يداً"[3].

وبعد عرض هذه المظاهر يتضح لنا أن المظهر الشعائري موضوعه علاقة المسلم بالخالق، وموضوع المظهر الاجتماعي هو علاقة الفرد المسلم بالأفراد والجماعات من حوله، وأما المظهر الكوني

---

[1] زغلول النجار، راغب محمد، **صور من تسبيح الكائنات لله**، ص9، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: العاشرة، 2006م.

[2] انظر: زغلول النجار، **صور من تسبيح الكائنات لله**، ص38.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص38.

فموضوعه علاقة المسلم بالكون المحيط، وتطبيق "المظهر الشعائري" للعبادة بشكل عام وللذكر بشكل خاص يتطلب معرفة الإنسان بخالقه ورسله وكتبه وملائكته، والتدرّب على ممارسة تلك الشعائر الدينية المحددة، وأما تطبيق المظهر الاجتماعي فهو يتطلب معرفة الإنسان بأشكال التكافل الاجتماعي والفضائل الاجتماعية، بالإضافة إلى تدريبهم على ممارسات تلك الأشكال[1].

ولعلّ هذا الشكل فيه توضيح لتلك الأبعاد الخاصة بالذكر:

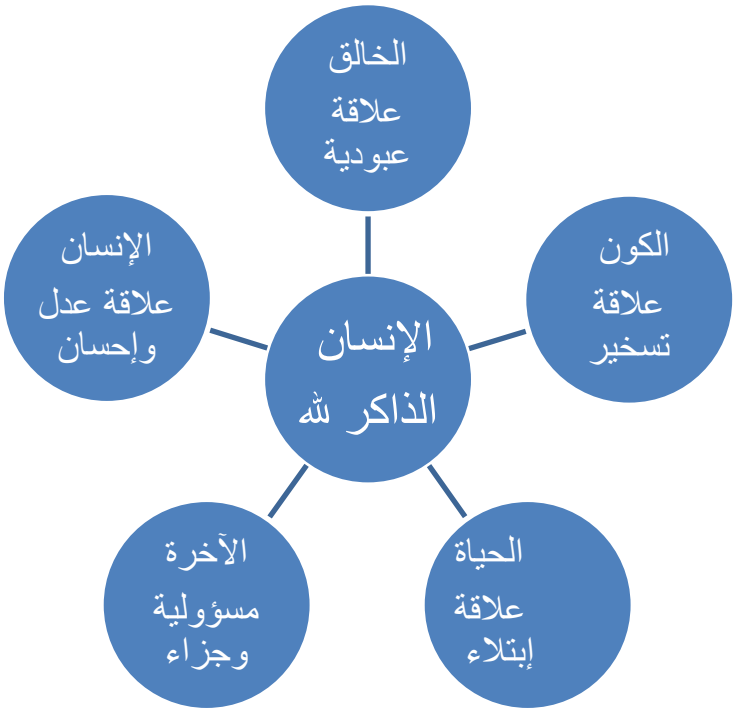

وأما تطبيق المظهر الكوني للعبادة فهو يتطلب من الإنسان أن يتعرف على الكون المحيط ومكوناته، وأن يتوجه إلى اكتشاف القوانين التي تنظم الكائنات الطبيعية، وخصائصها وتطبيقاتها، وتدريب المتعلمين على أشكال التعامل معها والانتفاع بها حسب التوجيهات الإلهية، وانطلاقاً من هذا المفهوم للعبادة تتفرع علوم كثيرة لا حصر لها يمكن أن تنقسم إلى "علوم دينية" و "علوم اجتماعية" و "علوم كونية"، وكلها مما

---

[1] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص84.

أمرت به أصول التربية الإسلامية، لأن ثمرتها من الناحية الاجتماعية هي تخريج علماء يخشون الله ويحبونه ويدعون الخلق لمحبته[1].

ولهذه الأسباب أيضاً توجه فلسفة التربية الإسلامية إلى وجوب تكامل المظاهر الثلاثة للعبادة في ميدان العمل والتطبيق، فالعبادة الحقيقية لا تتم بنصب الأجسام وتولية الوجوه إلى جهة القبلة التي قد تكون نحو الشرق أو الغرب، ثم الاكتفاء بأداء حركات العبادة الدينية وشعائرها، وإنما يجب أن تلتحم بالمظهر الاجتماعي والكوني للعبادة كذلك؛ وإلى التحام المظهر الشعائري والمظهر الاجتماعي، كما يشير القرآن في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2]. فهذه آية عظيمة، تذكر أمهات الأحكام، لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار والملائكة والكتب المنزلة، وأنها حق من عند الله والنبيين، وإنفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب، وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد[3].

---

[1] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص84.

[2] سورة البقرة، آية (177).

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (237/2).

"وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الأعمال"[1].

وفي تفسير الفخر الرازي أن من الأقوال في تفسير البِرّ هو أنه اسم جامع لجميع الخصال الحميدة، وأن استقبال القبلة واحد من هذه الخصال[2]، وعليه فليس البرّ حركات وتوجهات إنما هو اعتقاد صحيح، وعبادة مخلصة، وتكامل اقتصادي واجتماعي واجتماع قائم على الأخلاق الرفيعة، وصبر على تكاليف الجهاد والعمل.

وأرى أن الخروج من ضيق مفهوم العبادة إلى هذه الأبعاد قد تجسد في هذه الآية، على اعتبار أن القبلة ليست هي البر كما اعتقدوا، إنما هي الأعمال التي تُتَرجِمْ التوجه إلى القبلة حركياً وواقعياً، كمثل الذكر ليس هو فقط التسبيح أو التهليل أو التحميد أو التكبير، إنما يجب أن يخرج من هذه الدائرة إلى ما يسمى بذكر الله في الموقف أي؛ في الحياة العملية، إذ تبدو آثاره وأبعاده جلية وواضحة.

أما الإشارة إلى التحام المظهر الشعائري للعبادة بالمظهر الكوني، فمثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[3]؛ يعني بذلك قياماً في صلاتهم، وقعوداً في تشهدهم، وفي غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياماً، وقال بعضهم: هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة وقراءة القرآن، وما ورد في هذه الآية هو حالات ابن

---

[1] النسفي، أبو البركان عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت: 710هـ)، **. مدارك التنزيل وحقائق التأويل المسمى**، (101/1)، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998م.

[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (213/5).

[3] سورة آل عمران، آية (190-191).

آدم كلها[1]، وقيل: معناه الذين يوحدون الله على كل حال[2]؛ وقال سائر المفسرين: أراد به ذكر الله تعالى، ووصَفَهم بالمداومة عليه، إذ الإنسان قلما يخلو من معنى هذه الحالات الثلاثة[3].

والذين يعطلون "المظهر الاجتماعي" للعبادة غالباً ما يضيفون لـ "المظهر الشعائري أشكالاً مخترعة من البدع والطقوس ومظاهر التدين السلبي كالدروشة وتقديس الصالحين الأموات، والاحتفالات الدينية، وكثيراً ما يقلبون معاني المصطلحات الدينية نفسها، كأن يحولوا معنى الزهد من كونه زهد الأغنياء بما في أيديهم، ليجعلوه زهد الفقراء بما يحتاجونه من ضروريات حياتهم"[4].

وهذا يؤكد على أن "المظهر الاجتماعي" للعبادة هو محك الصدق في "المظهر الشعائري" فالأول هو الإيمان العملي، والثاني هو الادعاء النظري".

وعلق أحد المعاصرين بأن المظهر الشعائري يُنتج التوازن النفسي، والمظهرَ الاجتماعي يُنتج التطبيق العملي، والمظهرَ الكوني يُنتج القناعة العقلية[5].

وهكذا بدا لي أن للذكر آفاقاً كثيرة ومساحات واسعة في حياتنا، لا بد أن نحسن استغلالها، ولا نحصره في بقعة ضيقة، إذ أنه بهذه الأبعاد قد شمل الحياة كلها، لذلك إن لكل ذكر من الأذكار سراً من الأسرار يجب اكتشافه، وهذا لا نصل إليه عن طريق الترديد باللسان فقط، إنما نحن بحاجة إلى تدبر لكل معنى من معانيها حتى نرى ثمرة هذا الذكر على أرض الواقع.

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (7/474-475).

[2] أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد (ت: 489هـ)، **تفسير القرآن**، (1/388)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

[3] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (3/231)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ/ 2002م.

[4] الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص90.

[5] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: **(أذكار الأحرار)**، ص6، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

المطلب الثاني: رياض الذاكرين:

جاءت تسمية هذا المطلب برياض الذاكرين، نسبة إلى مجالس الذكر التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بأنها رياض الجنة، فمن شاء أن يرتع في رياض الجنة فليذكر الله، وهي أيضاً مجالس الملائكة الكرام عليهم السلام؛ ففي صحيح مسلم: "**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**"[1]. وفي الصحيحين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا....**" [2][3].

وسأتناول في موضوع رياض الذاكرين الحديث عن بعض هذه الرياض في نقاط خمس:

أولاً: روضة التهليل

التهليل أن يقول الإنسان: لا إله إلا الله، وفي سورة محمد ورد الحديث عن هذا الشطر من الشهادتين في قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[4]. وتسمى هذه الكلمة كلمة التوحيد لأنها تدل على نفي الشريك على الإطلاق[5]، وتسمى أيضاً الإخلاص، "والتوحيد مصدر وحّد يوحّد، ومعنى وحّدت الله: اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته، لا نظير له ولا

---

[1] سبق تخريجه ص50.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم (6408)، (86/8).

[3] بحرق، **الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة**، ص113.

[4] سورة محمد، آية (19).

[5] ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (213/1).

شبيه[1]. ولأنها كلمة النجاة المتكفّلة بكل خير ديني ودنيوي، وهي أصل العبادات القولية والفعلية، وهي القاعدة التي بنيت عليها أركان الإيمان، وهي أعلى شعب الإيمان، وكلمة الإخلاص التي لا عمل إلا بها"[2].

وعندما عرف السابقون المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد هذه تغيرت حياتهم وانتقلوا من حياة إلى حياة وانقطعت صلتهم انقطاعاً تاماً بطريقتهم الأولى في الاعتقادات والتعبدات، ولما فسدت السليقة وتغيرت المعرفة بلغة العرب، جهل المسلمون معنى كلمة "لا إله إلا الله، لذلك كان لا بد من شرح هذه الكلمة، ومعرفة مدلولاتها، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، خاصة في هذا الوقت الذي تكالبت فيه الأمم على أمة الإسلام، فكان لزاماً على أمة محمد أن تعيد النظر في نفسها، وفي الخلل الذي أضر بها، وهذا الخلل معظمه من الداخل وأقله من الخارج.

إذا فهمنا هذا المعنى الوارد في تفسير لا إله إلا الله، فهِمْنا معنى قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما[3]: "**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَال معاذ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا**"[4]، قال الحافظ ابن رجب

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (657/3).

[2] انظر: ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (191/1)، وابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (661/10)، وشمس الدين ابن مفلح، محمد بن مفلح بن مفرج أبو عبد الله المقدسي الراميني، (ت: 763هـ)، **كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (78/2)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1419هـ/1999م.

[3] هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، ولد عام (20 ق.هـ)، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن في العهد النبوي، أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ وبعثه الرسول، بعد غزوة تبوك، قاضيا ومرشدا لأهل اليمن، وأرسل معه كتابا إليهم يقول فيه: (إني بعثت لكم خير أهلي)، وتوفي عقيما بناحية الأردن فِي طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، وَهُوَ ابْن ثمان وثلاثين سنة، ودفن بالقصير المعيني (بالغور) ومن كلام عمر: (لولا معاذ لهلك عمر) ينوه بعلمه، (انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (1402/3-1403)، وابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (107/6-111) والزركلي، **الأعلام**، (258/7)).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم (128)، (37/1.)

الحنبلي: "فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلّة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها"[1].

نستنتج مما سبق أن اللسان وحده غير كاف لتحقيق ثمرات الشهادة، فهذا فرعون قد أتى بها بلسانه ولم تنفعه؛ لأنه في وقت التلف[2]، أي الموت والهلاك؛ قال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

"وحقيقة التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل، وتَرْكَ شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه"[4].

وذكر الماوردي في تفسير هذه الآية أن فيها ثلاثة أوجه، أحدها يعني: اعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله، الثاني: ما علمته يا محمد استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً، الثالث: يعني فاذكر يا محمد أنه لا إله إلا الله، فعبّر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه[5].

والعلم بالتوحيد مما أمر الله به نبيه ﷺ، كما تقدم في الآية من سورة محمد. قال السعدي[1] في تفسير هذه الآية: "العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بالمقتضى"،

---

[1] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي البغدادي، الدمشقي الحنبلي، (ت: 95هـ)، **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، ص44، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الرابعة.

[2] انظر: يوسف بن عبد الهادي، (ت: 909هـ)، **مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله**، ص163، تحقيق: عبد الهادي محمد منصور، راجعه وقدم له: عبد القادر الأرناؤوط، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1416هـ/1995م.

[3] سورة يونس، آية (91).

[4] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، (ت: 845هـ)، **تجريد التوحيد المفيد**، (6/1)، تحقيق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: 1409هـ/1989م.

[5] انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (300/5).

وهذا العلم الذي أمر الله به– وهو العلم بتوحيد الله– فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كلٌ مضطرٌ إلى ذلك، وقد طرح بعض الطرق إلى العلم أنه "لا إله إلا الله" منها أن العلم بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة[2]. فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك، أي إذا علمت السعادة التي ينالها المؤمن والشقاوة التي تقع على الكافر، فدُم واثبتْ يا محمد على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، وتكميل النفس بإصلاح أحوالها، واطلب المغفرة لأجل ذنبك، وهذا الأمر مع عصمته ﷺ عن الذنوب للتعليم واستنان أمته به[3].

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلّون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته، وفي رواية "**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**"[4]، وفي حديث آخر: " **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**"[5].

---

[1] هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، ولد في عنيزة (بالقصيم)، عام (1307هـ)، وتوفي فيها عام (1376هـ)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة 1358) له نحو 30 كتاباً، منها: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن)، و (تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) و(القواعد الحسان في تفسير القرآن). انظر: الزركلي، **الأعلام**، (340/3)، ونويهض، عادل، **معجم المفسرين**، (279/1).

[2] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، **تفسير السعدي المسمى بـ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، (787/1)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1422هـ.

[3] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (107/26).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم (99)، (31/1).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله، حديث رقم (23)، (53/1).

السعادة في قوله (من أسعد الناس) خلاف الشقاوة، والتفضيل بحسب المراتب، أي هو أسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الإخلاص، والكثير من الناس يحصل له سعدٌ بشفاعة النبي ﷺ لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها، وشفاعة النبي في الخلق بإراحتهم من هول الموقف وتخفيف العذاب، والحديث فيه دليل على أن الشفاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل التوحيد[1].

وبعد هذا الطرح لعلمائنا الأفاضل نسأل أنفسنا ماذا تريد منا "لا إله إلا الله"؟ وإلى أين تمضي بنا؟

فلا إله إلا الله تحرر المؤمن من الاهتمامات الضيقة، وترتقي به إلى سموّ معاني التوحيد، ونرى أثر ذلك كلّه في قيمه السلوكية وأخلاقه، وعلى رأس هذه القيم الحرية التي تعطي الإنسان شعوراً بعزة نفسه وعدم الذل للبشر، فأكثر الناس ذلاً واستعباداً هم من يقولون "لا إله إلا الله" بلسانهم دون أن تعبّر عن قلوبهم، وحتى إن وصلت إلى قلوبهم، فإن قلوبهم تبقى في ضيق من المعاني المحدودة، المهم أن لا نحصر هذا الذكر في ميدان ضيق[2]؛ فالأصل أن لا إله إلا الله ترسخ معاني الشجاعة والجرأة والمبادرة، لأنها تحرر من كل أشكال الخوف، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[3]، والأصل أن لا إله إلا الله ترسخ معاني الكرم والعطاء والإيثار، وتنفي التعلق بأي شيء سوى الله.

ولا ننسى أنه بكلمة "لا إله إلا الله" تُكتسب قوة معنوية هائلة، فلا اعتماد ولا اتكال إلا على الله وحده، ولعلنا نرى اليوم أثر غياب هذه الكلمة في حياتنا، فأصبح الإنسان يحسب تصرفاته بحساب الناس، يتشتت بحسابات لا أول لها ولا آخر، فيقع في الرياء والنفاق. فلو نُطقت هذه الكلمة بحقها لحررت النفس من أشياء

---

[1] انظر: بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (127/2).

[2] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص13، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

[3] سورة الأحزاب، آية (39).

ثقيلة جداً كطأطأة الرؤوس والذل لغير الله، إنها سعادة ما بعدها سعادة إذ لا يتملكه شيء، ولا تعلو في قلبه حسابات البشر، ولا يرى في قلبه إلا الله.

فما أعظم هذا الإنسان الذي ترسو في أعماق قلبه مراكب التوحيد، وتترسخ في نفسه قاعدة جوية، أو قل حاملة طائرات جاهزة لتحلّق في معاني التوحيد[1].

وهكذا نرى كيف أن الذكر يترك على صاحبه نِعْم الأثر، إن شعر به شعوراً حقيقياً وتدبره تدبراً كاملاً، ولم يحشره في زوايا ضيقة من حياته، إذ أنه كفيلٌ بأن يحقق السعادة والراحة النفسية التي يطمح إليها في هذه الحياة، ولقد نص أهل العلم على أن مجرد النطق بكلمة التوحيد، لا يكفي لتحصيل هذا الأجر العظيم، ما لم يصحبها اعتقاد جازم وإلمام بفقه معانيها، وإحاطة بأركانها وشروطها، فعندما نلفظ "لا إله إلا الله" يجب أن يستقر في نفوسنا شعورٌ باليقين عند أداء هذه الكلمة، كأن أقول مثلاً: لا إله إلا الله، "وفي القلب لا أعبد إلا الله"، و مرةً "لا إله إلا الله"، "وفي القلب لا أدين ولا أخضع إلا لله"، وتارةً "لا إله إلا الله"، "لا أريد في أموري كلها إلا لله".

ثانياً: **روضة التسبيح**

إنّ هذه الكلمة (سبحان الله) لها شأنٌ عظيم، فهي من أعظم الأذكار المقرِّبة إلى الله، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه، وقد كثرت النصوص في الكتاب والسنة في بيان فضلها وشرفها.

وأصلها يرجع إلى السِّبح، وهو: "المر السريع في الماء، وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحَاً وسباحة، والتسبيح: تنزيه الله تعالى. وأصله المَرُّ السريع في عبادة الله تعالى، وجُعل ذلك في فعل الخير كما جُعل

---

[1] انظر وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص15، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

الإبعادُ في الشر، فقيل: أبعده الله، وجعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية"[1]، وذكر بعض المفسرين أن السبح في القرآن على ثلاثة أوجه، الدوران نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]، وسير السفن في البحر نحو قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾[3]، والفراغ نحو قوله تعالى:﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[4][5]، ومعنى التسبيح: تنزيه الله عن كل ما لا يليق به، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد[6].

وقال ابن حجر: "سبحان الله تنزيه له عما لا يليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائص، فيندرج فيه معنى "لا إله إلا الله" أي أن التسبيح يتضمن توحيد الألوهية"[7]، ذلك لأن أول ما ينزَّه عنه الله سبحانه تعالى أن يشاركه غيره في استحقاق العبادة، وبهذا التسبيح نزَّه الله نفسه من مشاركة غيره له في ذلك فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[8]، وإذا كانت كلمة التهليل هي الكلمة الصريحة في توحيد الألوهية، فإن سبحان الله صريحة في التنزيه، ومتضمنة لما سرحت به كلمة التهليل، (فمنطوق سبحان الله تنزيه، ومفهومه التوحيد)[9].

وسبحان الله أبلغ في التنزيه من لا إله إلا الله، لأنه وإن دلت عليه، إذ يلزم من إثبات الألوهية انتفاء سائر النقائص وهو بمعنى التسبيح، إلا أنه بطريق الإلزام، وسبحان الله يدل عليه بالتصريح التام، والتسبيح

---

(1) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص392.

(2) سورة الأنبياء، آية (33).

(3) سورة النازعات، آية (3).

(4) سورة المزمل، آية (7).

(5) انظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر**، (347/1).

(6) انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (207/11).

(7) انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (207/11).

(8) سورة النحل، آية (1).

(9) انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (207/11).

"إنما كان أفضل الكلام لأنه؛ يتضمن التنزيه ومنه نفي الشريك، فيكون متضمناً لكلمة التوحيد، وقَدِّم التسبيح على الحمد؛ لأنه من باب التخلية، والحمد من باب التحلية"[1].

"وفي القرآن الكريم جاء الأمر بالتسبيح، وحكايتُه وحكايةُ صيغِه عن الأنبياء والصالحين والملائكة، والمخلوقات غير العاقلة، وجاء تنزيه الباري نفسه، وجاء كل ذلك مقروناً بما ينزَّه الباري عنه وغير مقرون، وجاء مقروناً بما يتعجب منه وغير مقرون، وأمثلة ذلك"[2]:

1. الأمر به من الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[3].

2. الحكاية عن الملائكة قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4].

3. الحكاية عن تسبيح أهل الجنة، فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله:﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[5].

4. الحكاية عن الأنبياء، فعن موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾[6].

---

[1] ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (184/1).

[2] الشنشوري، محمد بن أحمد بن بدوي الدسوقي، **فقه الذكر والدعاء**، ص100-101، مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

[3] سورة الأحزاب، الآيتان (41،42).

[4] سورة البقرة، آية (30).

[5] سورة يونس، آية (10).

[6] سورة طه، آية (33).

5. الحكاية عن تسبيح جميع الأشياء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1].

6. الحكاية عن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾[2].

7. من تنزيه الباري نفسه قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[3].

الآثار العملية للتسبيح

وكلمة سبحانك لا يستعملها إلا الواعون بقيمتها، وسأعرض خمسة نماذج ذكرها القرآن الكريم، وكانت نتائجها جلية واضحة.

أولا: سيدنا يونس عليه السلام، فقد ذكر القرآن الكريم له أكثر من آية تدل على تسبيحه، منها :

الآية الأولى: كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

الثانية: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[5]، ومعنى قوله: من المسبّحين: أي من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك، "وكان كثيرَ الذكر، وقال ابن عباس: "من المصلحين

---

[1] سورة الإسراء، آية (44).

[2] سورة الإسراء، آية (108).

[3] سورة الإسراء، آية (1).

[4] سورة الأنبياء، آية (87).

[5] سورة الصافات، الآيات (143-144).

وقيل العابدين"، وقال الحسن[1]: "ما كانت له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدّم عملاً صالحاً" فشكر اللهُ تعالى له طاعتَه القديمة، قال بعضهم: اذكروا الله في الرخاء يذكرْكم في الشدة، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله تعالى، فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر اللهُ تعالى له ذلك، فقال: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾"[2].

قال الطبري: "نادى يونس بهذا القول، معترفاً بذنبه تائباً من خطيئته" (إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) في معصيتي إياك"[3]. وقال الزمخشري: "ما نجّاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم"[4]. وقيل: معنى "من المسبحين" أي المصلين أو القائلين: "لا إله إلا أنت سبحانك"، أو العابدين أو التائبين[5]. "فلولا أنه كان من المسبحين أي المصلين لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت" وقال بعضهم: عملٌ صالحٌ في الخفاء[6]، وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صُرِع وَجَد متكأً، وقال بعضهم كان تسبيحاً لا صلاة[7].

---

[1] هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة،(21هـ) وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، له أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة)، توفي بالبصرة عام (110هـ)، انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (563/4-564)، والزركلي، **الأعلام**، (225/2-226).

[2] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (28/4).

[3] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (517/18).

[4] الزمخشري، **الكشاف الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (132/3).

[5] ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: 660هـ)، **تفسير القرآن**، (66/3)، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

[6] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (126/15).

[7] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (110/21)، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (126/15).

وذكر ابن عاشور في حكمة تقديم الاعتراف بالتوحيد: أن تقديمه الاعتراف بالتوحيد مع التسبيح، كنى به عن انفراد الله تعالى بالتدبير وقدرته على كل شيء. ثم هو عليه السلام قد بدأ بالتوحيد ثم بالتنزيه والتسبيح والثناء، ثم بالاستغفار والإقرار على نفسه بالظلم أي الذنب[1].

وهكذا يتبين لنا من خلال قصة سيدنا يونس عليه السلام أن للتسبيح معنى عملياً مهماً، فهو قاعدة إلهية وضعها رب الأرباب للمؤمنين جميعاً عندما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]، فأرى أن مفتاح استجابة هذا الدعاء هو الإحساس الحقيقي بهيبة الله سبحانه وتعالى، مع قمة الذل والانكسار لله، حتى أن جميع سنن الحياة التي وضعها الله جل وعلا سوف تتغير عندما تنطلق هذه الجملة من أفواه المؤمنين المكروبين، الذين فقدوا كل أطواق النجاة المادية حولهم، وتمسكوا بقدرة الله وقوته التي هي فوق أي سُنّة من سننه سبحانه، حتى لو كان هو من وضعها، فها هو سيدنا يونس يخاطب ربنا سبحانه وتعالى قائلاً له: (سبحانك) أي أنت أكبر من أي قانون في هذه اللحظات، حتى لو كان قانونا أنت وضعته، وها هو سيدنا يونس يترجم كلمة سبحانك الذي عجز معظم الناس عن فهم كنهها الحقيقي فعجائبها لا تنتهي.

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (132/17).

[2] سورة الأنبياء، آية (88).

ثانياً: موسى عليه السلام، ورد ذكر تسبيحه لله تعالى في سياق قصة مؤثرة ذكرتها سورة الأعراف.

قال الله تعالى عنه عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

قال الشعراوي: "فلما أفاق قال سبحانك، وساعة تسمع كلمة سبحانك اعرِفْ أنها يراد بها التنزيه لله من الحدث الذي نحن بصدده، وهو رؤيته –تعالى– أي تنزيهاً لك يا رب أن يراك مخلوق"[2].

وأرى أن معنى سبحانك في هذه الآية: أي يا ربي أنت أعلى وأجلّ من أن تُرى وتُدرَك بالبصر، وأنت تُنزّه عن هذا، فأنت إلهٌ لا تتخيله العقول مهما امتدت مساحة تفكيرها وتخيلها، وهذا لا يكون إلا من شأن إله عظيم في خلقه وشؤونه.

ثالثاً: عيسى عليه السلام، فله في التسبيح في الآخرة ما يدل على تعظيمه المتميز لله تعالى.

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[3].

---

[1] سورة الأعراف، آية (143).

[2] الشعراوي، **الخواطر**، (4345/7).

[3] سورة المائدة، آية (116).

"وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين أحدهما: تنزيه له عما أضيف إليه، الثاني: خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته، ويقال: إن الله لمَّا قال لعيسى ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ أخذته الرّعدة من ذلك القول، حتى سمع عظامه في نفسه، فقال: سبحانك ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: أن ادّعي لنفسي ما ليس من حقها، أي أنني مربوب ولستُ برب، وعابدٌ ولستُ بمعبود"[1]، "وسبحانك معناه تنزيهاً لك على أن يقال هذا وينطق به"[2].

"والمراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نُسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث، وهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشريف، ثم إن عيسى عليه السلام حفظ أدب الخطاب فلم يزِّك نفسه، بل بدأ بالثناء على الحق سبحانه وتعالى فقال: تنزيهاً لك: إنني أنزهك عما لا يليق بوصفك"[3].

وتسبيح عيسى عليه السلام يدلّ على تعظيمه لمقام الله عز وجلّ، وعلى خوفه منه سبحانه في الوقت نفسه؛ ورغم أن خطاب الله لعيسى لم يكن خطاب تعنيف، لكنه مع ذلك بثّ في قلب عيسى عليه السلام مزيدا من مشاعر التعظيم لله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الملائكة عليهم السلام، فلهم في تسبيح المولى مقام لا يرقى إليه مقام معظم البشر.

فقد نقل الله تعالى عنهم عندما ذكر قصة خلق آدم عليه السلام، وعندما طلب منهم أن يذكروا الأسماء التي علّمها الله تعالى له عليه السلام، نقل عنهم قولهم: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]. قال ابن كثير رحمه الله: "هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء

---

[1] الماوردي، **النكت والعيون**،(88/2)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،(375/6).

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،(262/2).

[3] القشيري، **لطائف الإشارات**، (456/1-457).

[4] سورة البقرة، آية (32).

من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى، ولهذا قالوا: (سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ)، أي: العليم بكل شيء، والحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام"[1]. وذكر ابن كثير بعد ذلك أيضا أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر أن: (سبحان الله) تعني تنزيه الله نفسه عن السوء، وأن عليا رضي الله عنه قال: كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن تقال[2].

وهكذا يتضح أن قول الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ يتضمن الاعتراف بأن العلم كله مرجعه إلى الله، فهو مصدر العلم والحكمة. وقوله (العليم الحكيم) أي العليم الذي يعلم كل خفايا الأمور مع علمه بظاهرها أما الحكمة فهي أن يوضع هدف لكل حركة؛ لتنسجم الحركات بعضها مع بعض[3].

وللملائكة عليهم السلام تسبيح آخر في القصة نفسها، ذكرها الله تعالى في قوله:﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4].

في الآية ذكر تسبيح الملائكة وتقديسهم لله سبحانه وتعالى، وتقدّم ذكر معنى التسبيح، أما التقديس فهو التنزيه والتطهير؛ والتقديس يكون إمَّا بالفعل أو بالاعتقاد. فمعنى (وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (133/1).

[2] انظر: المصدر نفسه، (133/1).

[3] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (250/1).

[4] سورة البقرة، آية (30).

نحن نعظمك وننزهك، والأوّل بالقول والعمل، والثاني باعتقاد صفات الكمال المناسبة للذات العليّة، فلا يتوهم التكرار بين (نسبّح) و (نقدّس)[1].

ويقول الشعراوي في الفرق بين التسبيح والتقديس: والتسبيح هو التنزيه عما لا يليق بذات المنزَّه، والتقديس هو التطهير، مأخوذ من القَدَس وهو الدلو الذي كانوا يتطهرون به. ولذلك نحن نقول سبوح قدوس، سُبّوح: أي مُنزَّه عن كل ما لا يليق بجلاله، وقدوس: أي مُطَهَّرْ. ومعنى كلمة (وبحمده) أي إنني أحمدك على أنك أعطيتني القدرة لأنزهك[2].

وبعد هذا العرض لآراء العلماء أرى أن الملائكة في هذه الآية تتحدث مع الله من باب رؤيتها في خلافة البشر، فهم بحسب هذه الرؤية يترتب على وجودهم الفساد، ويأتي الاعتراف في نهاية الآية بقولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)، أي: أنت يا الله أعلم منا ، ومن رؤيتنا التي رأيناها في هذا الأمر.

خامساً: أهل الجنة، فتسبيحهم في القرآن الكريم مشهود معلوم.

قال تعالى عنهم: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3].

قوله تعالى: (دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ) دعواهم: ادعاؤهم، والدعوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو، أي دعاؤهم في الجنة أن يقولوا (سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ) وقيل: إذا أرادوا أن يسألوا شيئاً أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد، والحمد لله في قوله تعالى: (وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) يفيد معنى الدعاء. ذلك أن التسبيح والحمد والتهليل قد تسمى جميعا دعاء، روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (404/1-405).

[2] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (243/1).

[3] سورة يونس، آية (10).

كان يقول عند الكرب: "**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السموات وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**"[1]، قال الطبري: "كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب، والذي يقطع النزاع وأن هذا يسمَّى دعاء وإن لم يكن فيه من معنى الدعاء شيء، وإنما هو تعظيم لله تعالى وثناء عليه"[2]. ومعنى الحمد كما يذكره القشيري، فقد قال: "الحمد هنا بمعنى المدح والثناء، فيثنون عليه ويحمدونه بحمد أبدي سرمدي، والحق-سبحانه وتعالى- يحييهم بسلام أزليّ وكلام أبدي، وهو عزيز صمدي، ومجيدٌ أحدي"[3].

وأرى أن أهل الجنة قد استعملوا هنا أعلى درجات المدح والثناء والتنزيه على الله سبحانه وتعالى، حتى أنهم إذا أرادوا أن يسألوا سؤالاً سألوه بلفظ التسبيح، فإذا أرادوا أن ينتهي بكلام انتهوا بلفظ التحميد.

بعض اللطائف التي وردت في التسبيح

1- أنواع التسبيح[4]:

النوع الأول: ما يأتي بعدها ظرف زمان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[5]، **وقوله تعالى:**﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾[6].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، حديث رقم (2730)، (2092/4).

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (313/8-314).

[3] القشيري، **لطائف الإشارات**، (82/2).

[4] أمين صبري، محاضرة على اليوتيوب بعنوان: **المعنى الأصلي للتسبيح بالحمد**، https://www.youtube.com/watch?v=rhEanEmjkGk.

[5] سورة آل عمران، آية (41).

[6] سورة طه، آية (130).

والتسبيح المتعلق بأوقات معينة، يدل على خصوصيات لهذه الأوقات، فلولا أنها ذات خصوصيات مهمة، لما ذكر القرآن التسبيح فيها خاصة. ولعل المناسب أن يقال هنا: إن التسبيح أول النهار يبثّ طاقة للنهار كله؛ وأن التسبيح آخر النهار يدل على ختم النهار الطويل بالتسبيح كما بدأ به.

وأما تفكر العبد في عظمة الله تعالى، وترديد تنزيهه في ذهنه، فهو تسبيح لذات الله ومسمى اسمه، ولا يسمى تسبيح اسم الله.

هناك آيات لها علاقة بالتسبيح بلفظ اسم الله نحو: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وبين تعلّقه بدون اسم نحو:﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[1]، ونحو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[2].

وهناك آيات أخرى لها علاقة بالتسبيح لكن، ليس بذكر لفظ التسبيح، بل بذكر لفظ ذات الله وتنزيهه، فكان ذلك تسبيحاً لذات الله لا لِاسمه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[3]، والتسبيح في الآية ليس مذكورا بلفظه، بل، فهو عائد إلى أن معنى التسبيح هو التنزيه، والآية تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك يخلق كما يخلق هو[4].

وخلاصة الفرق بين التسبيح باسم الله والتسبيح لذات الله، أن تسبيح اسم الله هو النطق بتنزيهه في الخويصة وبين الناس، بذكر يليق بجلاله من العقائد والأعمال، كالسجود والحمد. ويشمل ذلك استحضار

---

[1] سورة الإنسان، آية (26).

[2] سورة الأعراف، آية (206).

[3] سورة الحج، آية (73).

[4] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (272/30).

الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ، إذ المقصود من الكلام معناه. وبتظاهر النطق مع استحضار المعنى يتكرر المعنى على ذهن المتكلم، ويتجدد ما في نفسه من تعظيم لله تعالى[1].

وأرى أننا بحاجة ماسة إلى تطبيق وتفعيل اسم الله في مواقف عديدة، فنحن حينما نقول نسبّح باسم الله، فإننا نكون قد فعّلنا اسم الله في كافة المجالات في حياتنا، مثلاً أنا في العمل بحاجة إلى أن أسبّح باسم الله الرقيب، أي أن أطبق اسم الله الرقيب أو الحسيب، وهكذا ننطلق من زنزانة وضيق الدنيا إلى سعة التسبيح ورحابة الفهم.

النوع الثاني: من التسبيح: التسبيح بالحمد:

وهذه بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها التسبيح بالحمد، يقول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾، وقال أكثر المتأولين: "هذا إشارة إلى الصلوات الخمس قبل طلوع الشمس، صلاة الصبح (وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا)، صلاة العصر (وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ)، العتمة (وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ) المغرب والظهر، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث غروب الشمس، وهو وقت المغرب"[2].

---

[1] انظر: المصدر نفسه، (273/30).

[2] القرطبي، جامع البيان في تأويل القرآن، (261/11).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي: تفرغ لتنزيه الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وفي ساعات الليل المختلفة، وفي أطراف النهار، والمراد من مثل ذلك عموم الأوقات[1]. وسوف أتحدث عن علاقة التسبيح بالرضا بشكل كامل عند الحديث عن علاج ضيق الصدر.

وتقول الآية ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2]، ونحن دائماً نقرن التسبيح بالحمد، وهذا يعني تنزيهه سبحانه عن النقائص في الذات أو في الصفات أو الأفعال، وهو سبحانه كاملٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، فذاتُه لا تُشْبِه أيَّ ذات، وصفاته أزلية مُطْلقة، أما صفات الخَلْق فهي موهبة منه وحادثة[3].

1- استيعاب التسبيح لمساحة اليوم بأكمله:

قال تعالى:﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[4]، "وكُلٌّ من المساء والصباح آية منه سبحانه؛ فحين تغيب الشمس، فهذا إذْنٌ بالراحة، وحين تصبح الشمس فهذا إذْنٌ بالانطلاق إلى العمل، وتسبيح المخلوق للخالق هو الأمر الذي لا يشارك اللهَ فيه أحدٌ من خَلْقه أبداً، فكأن سَلْوى المؤمن حين تضيق به أسباب الحياة أنْ يفزَع إلى ربه من قسوة الخَلْق؛ ليجد الراحة النفسية؛ لأنه يَأْوي إلى رُكْن شديد، ولهذا فعليك أنْ تصحبَ التنزيه بالحمد، فأنت تحمد ربك لأنه مُنزَّه عن أنْ يكونَ مثلك، والحمد لله واجب في كل وقت؛ فسبحانه الذي خلق المواهب كلها لِتخدُمَك، وحين ترى صاحب موهبة وتغبطه عليها، وتحمد الله أنه سبحانه قد وهبه تلك الموهبة؛ فخيْرُ تلك النعمة يصِل إليك"[5].

---

[1] انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، (165/16)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة: الأولى، 1365هـ/1946م.

[2] سورة الحجر، آية (98).

[3] الشعراوي، **الخواطر**، (787/13).

[4] سورة الروم، آية (17).

[5] الشعراوي، **الخواطر**، (7787/13-7788).

ويظهر لي أن التسبيح استوعب كل اليوم من قبل الشروق ومن قبل الغروب، وآناء الليل وأول النهار وآخره، فماذا بقي من هذا اليوم لم تشمله هذه الآية بالحث على التسبيح؟.

ولنا في قصة أصحاب الجنة المعاني الكثيرة المبطنة للتسبيح، وأصل هذه القصة: أنه كان في أرض اليمن رجل له جنة، يؤدي حق الله منها، فمات فصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها، فأهلكها الله تعالى، وإنه لما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال، فحلفوا أن يقطفوا الحصاد صباحاً خفية من المساكين، ولم يستثنوا من يمينهم، أي لم يقولوا: إن شاء الله، فجاء عليها عذاب من ربك، الصريم: الليل، حيث اسودت جنتهم[1].﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: أي على قصد في أنفسهم يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم، فلما رأوها على الحالة التي كانوا غدوها عليها، من هلاكها وذهاب ما فيها من الخير، قالوا إنا لضالون: عن الطريق إليها. (قَالَ أَوْسَطُهُمْ): أي أرجحهم عقلاً، (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ): أنّبهم ووبّخهم على تركهم ما حضهم عليه من تسبيح الله، أي ذكره وتنزيهه عن السوء، ولو ذكروا الله وإحسانه إليهم لامتثلوا ما أمر به من مواساة المساكين[2].

ويعلق الكيلاني قائلاً: "الجنة هنا رمز للممتلكات ومصادر الثروة التي هي إحدى مظاهر الابتلاء بالخير، وهو رمز يختلف حجمه ونوعه باختلاف الأزمنة والأمكنة، فقد يكون في زمننا بلداً يموج بمصادر الثروة، بينما تعاني الأقطار الأخرى من نقص في الموارد، فيتداعى أهل الأقطار المزدهرة إلى اتخاذ الإجراءات التي تمكنهم من الاستئثار بما ابتلوا به من خير، بينما تحرم المحتاجين من العمال والفقراء والطلبة

---

[1] انظر: ابن كثير، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 214).

[2] انظر: **الواحدي**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت:468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (1123/1)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، (241/10-243)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، 1420هـ.

في الأقطار الأخرى من القدوم والاستفادة من هذا الخير، وهنا يطوف عليهم "طائف الرب" في شكل غزو خارجي، أو فتنة داخلية، أو حرب مدمرة، أو تضخم في الاقتصاد أو كساد في الأسواق، أو خراب في الإنتاج وتكون نتيجة ذلك كله رحيل الازدهار والثروة إلى قطر آخر، ليبدأ دوره في الابتلاء[1].

والمعنى الحقيقي والعميق لكلمة سبحاً هي استغلال أعلى الفرص التي منحها الله إيانا في كل يوم، وإنما جعل وقت الفراغ والراحة لاستغلال الفرص، ولا نعني بوقت الفراغ أن نقتل اليوم قتلاً ولكن أن نستغل الظروف المحيطة بنا[2].

ومجمل القول إن تسبيح الله تعالى، دليلاً على شعور يتملك القلب، شعوراً عظيماً بالله ينتج عنه الكثير من الآثار النفسية التي يجب أن تنعكس على صاحبها، ومن هذه المشاعر العبودية التامة لله، وتقدير الله حق قدره، وتصغير الذات، والتواضع، والتخلص من الكبر والغرور، إذ إن العبودية لله تحرر من كل أشكال العبودية الباطلة، فالتسبيح يحمي الإنسان من تعاظم الأنا، والتسبيح أيضاً يولد قدرة عالية على العطاء كما تكلمت سابقاً في قصة أصحاب الجنة، تقول الآية الكريمة: **(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)** ولم يقل لهم لولا تنفقون؛ لأنهم منعوا الإنفاق، بل عالج المسألة من جذرها لأنهم لو سبحوا لأنفقوا.

أضف إلى ذلك أن التسبيح باب لأخلاق عظيمة تزرع في أعماق النفوس، ونرى أثرها في السلوك، ودعني أقول إن التسبيح يربي الإنسان على الجرأة في الحق والخروج من حالة الاستضعاف، فعندما نسبح الله فإن معنى هذا أننا نعظم الخشية منه، وبالتالي نتحرر من أية خشية لغير الله؛ لأن هذا الغير يتصاغر ويتضاءل أمام عظمة الله في نفوسنا، وبالتالي تتحقق الجاهزية العالية لمقاومة كل أشكال الباطل. إنها نفسية

---

[1] انظر: الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص179.

[2] أمين صبري، محاضرة على اليوتيوب بعنوان: **المعنى الأصلي للتسبيح بالحمد**، https://www.youtube.com/watch?v=rhEanEmjkGk.

المنتصر، وهذا خير مما نرى من أشكال بشرية مهزومة في أعماقها؛ مترددة متقوقعة في ذاتها المأزومة أمام أي تغيير يحتاج إلى جرأة ومبادرة وتضحية.

وهذا على كل الصعد، سواء كان ذلك في عملية التحرر السياسي أو كان في صعيد النماء الاقتصادي، أو الرفاه الاجتماعي، ولا بد من تدريب عملي يساعد الإنسان في استحضار بعض المعاني الآتية: سبحان الله، الله غاية العظمة ومطلق التنزيه، وسبحان الله، أطرد من قلبي كل معظّم غير الله، وسبحان الله، لا يستحق الخشية إلا الله[1].

2- التسبيح والتحميد والتكبير على عقد الأصابع:

أظهر العلم الحديث أنه يوجد نقاط في كف اليدين متصلة بجميع الخلايا وأجهزة الجسم، وفي التسبيح والتحميد والتكبير على عقد الأصابع تلقين لجميع أجهزة الجسم (القلب، الكلى، الكبد، المرارة، البنكرياس، والعين والأذن) وجميع الخلايا العصبية في الجسم، تسبيح الله وتحميده، وأن الله أكبر من كل شيء في الكون، بالإضافة إلى أنك تقوم بتنشيط لكل أعضاء الجسم، ويوم القيامة يشهد اللسان و اليدان و جميع خلايا وأجهزة الجسم علينا، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

2- **التسبيح وعلاجه الإدمان:**

"توصل عالم النفس د. محمد حافظ الأطروني، أستاذ ورئيس قسم الأمراض النفسية بطب المنصورة إلى حقيقة إعجازية تلخصها جملة واحدة (الذي يسبح لن يدمن، والذي أدمن علاجه التسبيح)، والمقصود أن

---

[1] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص28، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

[2] سورة النور، آية (24).

المسبّح لا يحتاج إلى الأدوية المهدّئة التي قد يدمن عليها، ويتبين من الحوار الذي أجراه معه موقع إسلام ويب حول هذا العلاج الرباني يقول: ذكر الله ينظم موجات المخ ويوصل المرء إلى حالة التوازن النفسي دون مهدئات، جلستا تسبيح في اليوم تكفيان لعلاج الإدمان والوقاية منه، والعلاج بالعقاقير يؤدي إلى الإدمان، والتسبيح بديل فعال وغير مكلف"[1]، من هنا يمكن أن نزداد فهما للحديث الذي يقول: "**عليكُنَّ بالتَّسبيحِ، والتَّهليلِ والتَّقديسِ، واعقِدْنَ بالأنامِلِ، فإنَّهنَّ مَسئولاتٌ مُستَنطقاتٌ ولا تغفلْنَ فتَنسَيْنَ الرَّحمةَ**"[2].

والخطاب في الحديث موجّه إلى النسوة، فمعناه على هذا: عليكن أيتها النسوة (بالتَّسبيحِ)، قول سبحان (والتَّهليلِ)، أي: التوحيد، (والتَّقديسِ) قيل: قول الملائكة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، والفرق بين التسبيح والتقديس، أن التسبيح للأسماء لا للآلاء وكلاهما يؤدي إلى العظمة (واعقِدْنَ بالأنامِلِ)، أي: اعددن بها مرات التسبيح، وفيه ندب عد الذكر وعقده بالأنامل؛ لأن الكل طاعات، (فإنَّهنَّ) أي: الأنامل. (مَسؤولاتٌ) يوم القيامة عما يفعلن من الخير والشر، فإن لكل عضو عبادة وكل عضو مسؤول. (مُستَنطقاتٌ)، أي: مطلوب نطقهن، (ولا تغفلْنَ)، من الغفلة: الإعراض عن الشيء، (فَتَنْسَيْن) أي ينساكن الله من (الرَّحمةَ)، أي يُتْرَكن عنها، من قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[3]، قيل هذا أصل في السُّبْحة المعروفة، وكان ذلك معروفًا بين الصحابة[4]، ولا شك أن الرجال كالنساء في هذا الأمر.

---

[1] الأطروني، محمد حافظ، حوار مع الأستاذ حول الصحة النفسية، مقالة منشورة على الانترنت، http://articles.islamweb.net/media/index.php.

[2] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات، باب لا حول ولا قوة الا بالله، حديث رقم (٣٥٨٣)، (٥/٥٧١) ، وقال الألباني: حديث حسن.

[3] سورة التوبة، آية (6).

[4] انظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني أبو إبراهيم، عز الدين، (ت: 1182هـ)، **التنوير شرح الجامع الصغير**، (7/329-330)، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432هـ/2011م.

وأرى أن التسبيح اعتقاد وقول وعمل يشمل اعتقاد القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح، قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا**"[1].

والمراد بقولها: (ما رأيته سبحها)، أي داوم عليها، وقولها: (وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا)، أي لأداوم عليها، وجمع بين قولها ما كان يصلي عليه السلام إلا أن يجيء من مغيبة، وقولها كان يصلي أربعاً ويزيد ما شاء كما ورد في حديث رواه مسلم بأن الأول محمول على صلاته إياها في المسجد، والثاني على البيت[2].

ثالثاً: **روضة الحمد**

إن الرصيد الحقيقي الذي يفجّر في الكينونة البشرية معنى القوة حينما تنفذ الحيلة ويفتقد النصير هو الحمد، حيث تنتفض الذات على الواقع البائس، فيلهج اللسان معلناً حقيقة التوحيد، بقوله (الحمد لله رب العالمين) متعدياً الأسباب البشرية المعهودة، فتتكشف الحجب عن حقيقة القوة الفاعلة والمركوزة في أعماق أهل الإيمان، إن المشكل أن كثيراً من الناس لا يحمدون الخالق على جليل نعمائه، فنرى التذمر والشكوى، يملأ أنفسهم بالفتور والخنوع المصاحب لذلك، لقد جاءت الآيات واضحة بصور مختلفة في القرآن تدعو أتباعه إلى الحمد. "وهناك عدّة آيات في القرآن ورد فيها لفظ الحمد تحت إطار موضوعي معين ومن هذه الموضوعات التي تناولتها الآيات"[3]:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب من لم يصل الضحى ورآه واسعا، حديث رقم (١١٧٧)، (٥٨/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وان أقلها ركعتين وأكملها ثمان ركعات وأوسطها اربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، حديث رقم (٨١٨)، (٤٩٧/١).

[2] انظر: بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (241/7).

[3] محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص267، دار الحديث- القاهرة.

1- **الحمد: أمرُ من الله:** قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[3].

"والأمر بالحمد هنا إلزام لهم على الإقرار بأنّ الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر. ولا يعبد معه غيره، ثم قال بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أنّ ذلك يلزمهم، وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عن حمد الحامدين المستحق للحمد، وإن لم يحمدوه"[4].

2- **اقتران التسبيح بالحمد:** قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[5]. والعرب تدخل الباء أحياناً في التسبيح وتحذفها أحياناً، فيقولون: فسبح بحمد ربك وسبح حمد الله، قال الله تعالى سبح اسم ربك الأعلى وقال وسبح اسم ربك العظيم، وقيل الحمد لله رب العالمين، أي يقول المؤمنون الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه، ونصرنا على من ظلمنا، وفي هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد لله فقال: **(وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)**، فكان لزاماً على كل مؤمن أن يقتدي بهذا الأمر، فيبدأ كل شيء بحمد الله ويختمه بحمده[6].

---

[1] سورة النمل، آية (59).

[2] سورة النمل، آية (93).

[3] سورة العنكبوت، آية (63).

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (500/3)

[5] سورة الزمر، آية (75).

[6] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (287/15).

ومن الآيات التي ورد فيها قرْن التسبيح بالحمد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾[3].

3- **الفرق بين الحمد والشكر**: قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[5]،

وقال أيضا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[6].

الحمد لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخصُّ من المدح وأعمُّ من الشكر، فإنّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وفيما يكون فيه بالتسخير، فقد يُمدَح الإنسان بطول قامته وصَباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمدُ يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليس كل حمْدٍ شكراً، وكل حمدٍ مدحٌ وليس كل مدحٍ حمداً[7].

"الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً وهو: أن الحمد قد يقع على سبيل الابتداء، وعلى سبيل الجزاء، والشكر: لا يكون إلا في مقابلة النعمة، ونقيض المدح: الذم، ونقيض الشكر: الكفر، ويقال: رجل محمود، ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة"[8].

---

[1] سورة غافر، آية (7).

[2] سورة غافر، آية (55).

[3] سورة الشورى، آية (5).

[4] سورة الروم، آية (18).

[5] سورة سبأ، آية (1).

[6] سورة فاطر، آية (1).

[7] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص256.

[8] ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (251/1).

ذكر بعض المفسرين أن الحمد في القرآن على خمسة أوجه: أَحدهَا: الثَّنَاء والمدح، وَالثَّانِي: الْأَمر، والثالث: الشُّكْر، والرابع: الْمِنَّة، مِنْه قَوْله تَعَالَى ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾[1]، وَالْخَامِس: الصَّلَاة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى:﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾[2] ، أَرَادَ الصَّلَوَات الْخمس[3].

والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله، فإن وجوده ابتداءً ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء، وفي كل لمحة وفي كل لحظة وفي كل خطوة تتوالى آلاء الله وتتواكب وتتجمع، وتغمر خلائقه كلها وبخاصة هذا الإنسان، ومن ثم كان الحمد لله ابتداءً وكان الحمد لله ختاماً قاعدة من قواعد التصور الإسلامي المباشر، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[4]، وهذا ما قاله سيد قطب في تفسير آية ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وأضاف إلى أن التوجّه إلى الله بالحمد يمثل شعور المؤمن الذي يستجيشه مجرد ذكره لله. أما شطر الآية الأخير: (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي[5].

وقال ابن كثير في تفسير آية (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ): الحمد لله ثناءً عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه، وقال ابن عباس: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) كلمة كل شاكر، وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قول لا إله إلا الله؛ لاشتمال الحمد لله رب

---

[1] سورة الزمر، آية (74).

[2] سورة الروم، آية (18).

[3] انظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (252/1-253).

[4] سورة القصص، آية (70).

[5] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (22/1).

العالمين على التوحيد مع الحمد، وقال آخرون: "لا إله إلا الله" أفضل، لأنها تفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتَل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله"[1].

ويلاحظ تالي القرآن أن للحمد أزمنة معينة، منها ما يكون بعد إهلاك الظالمين، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، يقول النسفي رحمه الله: "الحمد لله رب العالمين، إي بوجوب إيذان الحمد لله عند هلاك الظَلَمَة، وأنه من أجلّ النعم وأجزل القسم، أو احمد الله على إهلاك من لم يحمد الله"[4].

وحمد الله لا ينقطع إطلاقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة بصفة عامة، فلا ينقطع بأي حال من الأحوال، كما في قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5]، ومعنى الآية أي: يحمده أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في الجنة ويقال: له الألوهية في الدنيا والآخرة، وله الحُكم[6]، والآية الأخرى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[7]، وفي هاتين الآيتين دليل على أن الحمد مطلق ليس له زمن معين، إذ أن العبد في كل أوقاته متقلب في نعمة الله، وهو سبحانه خالق الخلق ورازقهم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، دينية ودنيوية، ودفع عنهم النقم

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (44/1).

[2] سورة الأنعام، آية (45).

[3] سورة المؤمنون، آية (28).

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (504/1).

[5] سورة القصص، آية (70).

[6] انظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، (617/2).

[7] سورة سبأ، آية (1).

والمكاره، فليس بالعباد من نعمةٍ إلا وهو موليها، ولا يدفع الشر عنهم سواه، فهو سبحانه يستحق منهم الحمد والثناء في كل وقتٍ وحين، كما أنه سبحانه يستحق الحمد لكمال صفاته، ولما له من الأسماء الحسنى والنعوت العظيمة التي لا تنبغي إلا له، فكل اسم من أسمائه، وكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة[1].

حمد المؤمنين: قال تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[2].

"قول الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، يعني: يحمده أهل الجنة. ويقال: يحمدونه في ستة مواضع: أولها: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[3]، فإذا تميز المؤمنون من الكافرين يقولون بلسان الحال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، والثاني: حين جازوا الصراط قَالُوا: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾[5]، والثالث: لما دنوا من باب الجنة، واغتسلوا بماء الحيوان، ونظروا إلى الجنة، وَقَالُواْ: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ

---

[1] عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، **فقه الأدعية والأذكار**، (237/1)، الكويت، الطبعة الثانية، 1423هـ/2003م.

[2] سورة سبأ، الآيتان (1-2).

[3] سورة يس، آية (5).

[4] سورة المؤمنون، آية (28).

[5] سورة فاطر، آية (34).

لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1]، والرابع: لما دخلوا الجنة استقبلتهم الملائكة– عليهم السلام– بالتحية فقالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[2]، والخامس: حين استقروا في منازلهم وَقَالُواْ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾[3]، والسادس: كلما فرغوا من الطعام قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4][5]".

ومن السنة لِمَنْ بدأ بالأكل أن يسمي الله عند أكله وشربه، ويحمده عند فراغه، اقتداء بأهل الجنة، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه[6]، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**"[7]، "الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي: المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء، وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب"[8].

---

[1] سورة الأعراف، آية (43).

[2] سورة الزمر، آية (74).

[3] سورة فاطر، آية (35).

[4] سورة الفاتحة، آية (2).

[5] السمرقندي، **بحر العلوم**، (78/3).

[6] هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة، ولد بالمدينة عام (10 ق.هـ)، وهو صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث (2286) حديثا، أسلم صغيرا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها عام (93هـ) وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (انظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت: 230هـ)، **الطبقات الكبرى**، (7/17–26)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م، والزركلي، **الأعلام**، (2/24–25).

[7] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، حديث رقم (2734)، (2095/4).

[8] النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص1603.

وذكر ابن القيم: "أن الذكر ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد، فالحمد لله: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضى به، فلا يكون المحب الساكت حامداً، ولا المُثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر الحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناء، فإن كرر الحامد كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً"[1].

إذاً لا يكفي أن نقول بعد وجبات الطعام: الحمد لله باللسان ثم نشبع حاويات النفايات من أطايب المأكولات الزائدة من موائدنا، بل إن هناك من يجب أن يسد جوعه وجوع أطفاله، هناك من يعتمرون عشرات المرات في سياحة دينية حافلة، بينما آلاف طلاب الجامعات لا يجدون أقساط الجامعة.

كما نلاحظ أن هذه الكلمة تقيم بنيان الشكر في قلوب المؤمنين، ولها مدلول عظيم، وهو أن الوحيد الذي يستحق الثناء والحمد هو الله، وعلى هذا فإن المؤمن لا يستحق أن يمدح ذاته أو يثني عليها، وهذا يحرر من آفات كثيرة، وكذلك لا يتملق لأحد، ولا يقيم قصائد المدح والثناء لأناس لا يستحقون؛ فالحمد لله وحده[2].

كذلك يمكن تصنيف الناس على ثلاث درجات: هناك من هو غارق في النعم دون أن يراها، فهو فقط يدرك النعمة عندما يفقدها، وهناك من يرى النعمة، فيحمد الله عليها بلسانه، دون أن تحرك كثيراً في قلبه، وهناك من يجمع بين اللسان والقلب والعمل، إذن الهدف الحقيقي من كلمة (الحمد لله) أن نبلغ بها الدرجة الثالثة، وحتى تكون هذه الكلمة ذات أثر نفسي بالغ لا بد من تدريب عملي لها كالآتي:

الحمد لله، "مع تفكر في النعم، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ والحمد لله وحده وليّ النعم.

---

[1] ابن قيم الجوزية، **فضائل الذكر والدعاء**، ص115.

[2] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص31-32، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

وأختم حديثي عن الحمد بأن الفائدة العظمى والهدف الرئيس المرجو من هذه الكلمة لن يتحقق إلا إذا أثّرت على نفس الذاكر، فحينما نقول الحمد لله ونحن نتذكر نعم الله علينا، ونستعرض أمام عقولنا شريطاً طويلاً من النعم المغدقة علينا، والتي لا نكاد نشعر بها، ثم نُرجع هذه النعم إلى الله تعالى، المتفضل بها، ونحمده عليها، فإن هذا الحمد يعطينا علاجاً نفسياً لأمراض نفسية منتشرة أولها السّخط، فهذا المرض كفيلٌ بأن يوصل الإنسان إلى أشدّ درجات الاكتئاب. والنظرُ إلى ما في أيدي الآخرين من نعم، ومتابعة أحوالهم، ظناً ممن يفعل ذلك أنهم غارقون بالنعم، متجاهلين لنعم الله التي أنعمها الله عليهم ظاهرة وباطنة، والتي منها مثلا قيام الليل، والولد الصالح، وحفظ القرآن. إن تجاهل كل هذه النعم، مع حصرها في النعم المادية الظاهرة المتمثلة في السيارات والملابس والأثاث والمنازل، إن مثل هذا الحال غضٌّ كريه لمقام نعمة الله على الإنسان، وهم بذلك يكونون قد حصروا النعمة وضيقوها في تلك الأمور، فضاقت أنفسهم، وأصبحت بائسة حزينة غير راضية، فالحمد لله ملء السماوات والأرض، والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأرى أن المؤمنين ينتقلون من حمد إلى حمد، ومن شكر إلى شكر، حتى بعد استقرارهم في الجنة، ليكون هذا الحال ملازماً لهم أبد الآبدين، فهو النَفَس الذي يتنفسونه، والحياة التي يحيون بها، فأصبح حمد الله من أشرف ما مُدح به ربنا أولاً وآخراً، وأفضل ما يتقدّم به العبد لتطهير نفسه من أمراضها.

رابعاً: روضة التكبير

إن التكبير شأنه عظيم وثوابه عند الله جزيل، وقد تكاثرت النصوص في الحثّ عليه والترغيب فيه وذكر ثوابه.

ومعنى كلمة (كبر) الكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّغر، يقال: هو كبير، وكُبَار، وكُبَّار، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾[1]. والكِبْرُ: معظم الأمر، ومن قوله عزّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[2]، أي معظم أمره، ويقولون: كِبْرُ سياسة القوم في المال، فأما الكُبْر بضم الكاف فهو القُعدد، يقال الولاء للكُبْر، يراد به أقْعد القوم في النسب، وهو الأقرب إلى الأب الأكبر، ومن الباب الكِبر، وهو الهرم، والكِبْر: العظمة، وكذلك الكبرياء، ويقال: ورثوا المجد كابراً عن كابر، أي كبيراً عن كبيرٍ في الشرف والعز، وعلت فلاناً كَبْرَةٌ، ويقال: أكبَرْتُ الشيء: استعظمته[3].

وقال الراغب الأصفهاني: "وأكبرْتُ الشيء: رأيته كبيراً. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾[4]، والتكبير يقال لذلك، ولتعظيم الله تعالى بقولهم: الله أكبر، ولعبادته واستشعار تعظيمه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾[5]، وقوله: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾[6]، وقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[7] فهي إشارة إلى ما خصهما الله تعالى به من عجائب صنعه، وحكمته التي لا يعلمها إلا قليل"[8].

---

[1] سورة نوح، آية (22).

[2] سورة النور، آية (11).

[3] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (154/5).

[4] سورة يوسف، آية (31).

[5] سورة البقرة، آية (185).

[6] سورة الإسراء، آية (111).

[7] سورة غافر، آية (57).

[8] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص698.

وفي كتاب تهذيب اللغة: أن قول المصلّي (الله أكبر)، وكذلك قول المؤذن الله أكبر، فيه قولان: أحدهما: أن معناه (الله كبير)، والقول الآخر: أن فيه ضميراً، المعنى: الله أكبرُ كبير[1]، والأرجح لدي الرأي الثاني، بمعنى أن يكون الله عند العبد أكبر من كل شيء، أي لا أكبر، ولا أعظم منه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التكبير يراد به أن يكون (الله) عند العبد أكبر من كل شيء"[2].

ومما تقدم يتبين أن معنى الله أكبر أي من كل شيء، فلا شيء أكبر ولا أعظم منه، ولهذا يقال أن أبلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم والإجلال هي: الله أكبر، أي: صِفه بأنه أكبر من كل شيء.

ومن الآيات التي يأمر الله تعالى فيها بتكبيره سبحانه قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾[3]. يقول ابن عاشور: "وجملة الحمد لله تقتضي تخصيصه تعالى بالحمد، أي قصر جنس الحمد عليه تعالى، لأنه أعظم مستحق، ومعنى كبّره تكبيراً: أي اعتقد أنه كبير، أي عظيم، العِظَم المعنوي الشامل لوجوب الوجود والغنى المطلق، وصفات الكمال كلها الكاملة التعلقات، لأن الاتصاف بذلك كله كمال، والاتصاف بأضداد ذلك نقص وصَغار معنوي، والإتيان بالمفعول المطلق بعد كبره للتوكيد، ولما في التنوين من التعظيم، ولأن مَنْ هذه صفاته هو الذي يقدر على إعطاء النعم التي يعجز غيره عن إسدائها"[4].

---

[1] انظر: الأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، (122/10)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (239/5).

[3] سورة الإسراء، آية (111).

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (239/15–240)، والنسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (274/2)، وأبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، (129/7)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (345/10).

ومن الآيات التي ورد فيها الأمر بالتكبير كذلك قول الله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[1]، والآية ظاهرة في الأمر بالتكبير، ويعرض الرازي في تفسير الآية مسألتين:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير التكبير وجوهاً، أحدها: عظِّمْ ربك، وثانيها: أن يقول الله أكبر. روي أنه" لما نزلت هذه الآية قام النبي ﷺ وقال: الله أكبر كبيراً، فكبرت خديجة وفرحت، وعلمت أنه أُوحي إليه". وثالثها: المراد منه التكبير في الصلوات، فإن قيل: هذه السورة نزلت في أول البعثة، وما كانت الصلاة واجبة في ذلك الوقت، قلنا: لا يبعد أنه كانت له عليه الصلاة والسلام صلوات تطوعية، فأمر أن يكبر ربه فيها، ورابعها: يُحتمل عندي أن يكون المراد أنه لما قيل له: قم فأنذر، قيل بعد ذلك: وربك فكبر عن اللغو والعبث[2].

المسألة الثانية: الفاء في قوله (فكبر)، البعض قال إنها زائدة، وهناك من قال إنّ الفاء جزائية، والمعنى قم فكبر ربك، وهذا رأي الزجّاج، وأما صاحب (الكشّاف) فقد ذكر أن الفاء لإفادة معنى الشرط[3]، والتقدير: وأيَّ شيء كان فلا تدع تكبيره[4].

ويقول سيد قطب: "ثم يوجه الله رسوله إلى تكبيره: كبّر ربك وحده، فهو وحده الكبير، الذي يستحق التكبير، فكل قيمة، وكل حقيقة، وكل أحد أو شيء صغير، والله وحده هو الكبير، وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه أهوال البشرية وأثقالها، بهذا التصور، وبهذا الشعور، فيستصغر كل قوة"[5].

---

[1] سورة المدثر، آية (3).
[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (697/30).
[3] الزمخشري، **الكشاف**، (645/4).
[4] انظر: المصدر نفسه، (697/30-698).
[5] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (3754/6).

أما أهم الأمور التي يكون فيها التكبير: التكبير على ما هدانا الله إليه، قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1]، قال الماوردي: "قيل أنه تكبير الفطر من أول الشهر. وقوله: (عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ) يعني من صيام شهر رمضان، ويحتمل أن يكون على عموم ما هدانا إليه من دينه"[2]. وقال الثعالبي: وقوله تعالى: (وَلِتُكَبِّرُواْ)، حضٌ على التكبير في آخر رمضان ومن العلماء من يكبر، ويهلل، ويسبح أثناء التكبير، ومنهم من يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وقيل: غير هذا، والجميع حسن واسع مع البداء بالتكبير".

"وقوله: (هَدَىٰكُمۡ): قيل: المراد: لِما ضلَّ فيه النصارى من تبديل صيامهم، وتعميم الهدى جيد. ولعلكم تشكرون: ترجٍّ في حق البشر، أي: على نعم الله في الهدى. ولعلكم تشكرون: تشكرون علّة الترخيص والتيسير"[3].

ويقول صاحب التفسير المنير: "(وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ) من الأحكام النافعة لكم، بأن تذكروا عظمته وكبرياءه وحكمته في إصلاح عباده، وأنه يربيهم بما يشاء من الأحكام ويؤدبهم بما يختار من التكاليف، ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم كلها، وإعطاء كل من العزيمة والرخص حقها"[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمقصود بالتكبير في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أراد شرعاً التكبير على ما هدانا، وأُريد به تكبير العيد، واتفقت الأمة على أن صلاة العيد مخصوصة بتكبير زائد، وكان التكبير أيضاً مشروعاً في خطبة العيد، زيادة على الخطب الجُمَعِية، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يكبر

---

[1] سورة البقرة، آية (185).

[2] الماوردي، **النكت والعيون**، (242/1).

[3] انظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (384/1).

[4] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (32/2).

على الأشراف، مثل التكبير إذا ركب دابة، وإذا علا نشزاً من الأرض، وإذا صعد على الصفا والمروة. وجاء التكبير مكرراً في الأذان في أوله وفي آخره، والأذان هو الذكر الرفيع، وفي أثناء الصلاة، وهو حال الرفع والخفض والقيام إليها[1].

ومناسبة التكبير للصعود والتسبيح للهبوط ظاهرة، إذ في الأول يُذكر كبرياء الله تعالى عند المحالّ المرتفعة، وكأن المقصود أنه أكبر من هذه المرتفعات. وفي الثاني تنزيهه في المحالّ المنخفضة عن انخفاض مرتبته (تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً)، لأن الكبرياء لله تعالى وحده وليس للعبد منه شيء، وتسبيحه تعالى في الأودية مستنبط أيضا من قصة يونس، وتسبيحه في بطن الحوت، فنجاه الله من ذلك بالتسبيح من الظلمات[2].

وأرى بعد هذا العرض أن المعنى الحقيقي للتكبير هو الشعور من أعماق الإنسان بعِظَم الله حقيقة واضحة، وأن يجعل هذه العظمة أمام عينيه طوال أيامه، حتى يستطيع أن يكبّر الله على كل مشاكله وهمومه، والسؤال المهم بعد هذا الطرح في تفسير هذه الآيات: لماذا لا يصل الناس إلى حقيقة التكبير، ولماذا لا نرى أثره في النفوس، رغم أنهم يكبّرون، ومآذنهم تناطح السحاب؟ وإني لأرى إجابة وافية على هذا التساؤل من الكاتب وليد الهودلي في كتابه (أسرار الأحرار) لأن الناس لا يذكرون بالطريقة الصحيحة، فإنهم يَقْصرون تأثيرات الذكر على اللسان، ومساحة ضيقة من مشاعر القلب لا تقوى على تحريك الإرادة، كما يحصل عندما يقرر فريق كرة قدم أن يلعب فقط في نصف الملعب، دون النصف الآخر، فهل تراه يحرز أهدافاً؟

---

[1] انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (225/24).

[2] انظر: ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (139/5).

وحتى نصل إلى الهدف الرئيس من هذا الذكر (الله أكبر) لا بد أن نفتح بعض نتائجه وآثاره[1]:

أولاً: تضيق الخناق على الأنا، فتدفع المؤمن نحو التواضع.

ثانياً: تحقق العبودية الخالصة والافتقار التام لله تعالى.

ثالثاً: تزيدنا خوفاً وخشية وتعظيماً لله.

رابعاً: تزيد الحب لله؛ إذ عندما تنمو مشاعر التعظيم لله، تنمو معها مشاعر الحب له سبحانه.

يذكر الكيلاني في مناهج التربية الاسلامية : "أن الذكر في أعلى سُلّم السلوك الإنساني؛ لما فيه من تصحيح النوايا وتصويب الأهداف، وحتماً نجد أن "الله أكبر" تأتي لتؤكد حقيقة "ولذكر الله أكبر".. هذا الذكر الذي يقود السلوك الإنساني نحو تصحيح النوايا وتصويب الأهداف"[2].

وعندما تؤثر (الله أكبر) في علاقتنا تؤدي إلى رفعة في أخلاقنا واستمرارٍ في الارتقاء، وكل هذا ينعكس على علاقتنا الاجتماعية، وعلى وظائفنا في هذه الحياة بكل مجالاتها، ولا نقع ضحية استهلاكية لبضائع الآخرين، سواء كانت مادية أو ثقافية أو قيمية، فالمؤمن الذي يقول: الله أكبر، قبل الركوع وقبل السجود، لا يمكن له أن يذل أو يركع لغير الله، مهما بلغ حجم الإغواء، أو غطرسة القوة التي يراها المسلم هذه الأيام.

---

[1] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: **(أذكار الأحرار)**، ص34، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

[2] الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية**، ص242.

وبالتدريب العملي لكلمة الله أكبر نستطيع أن نلمس الأثر النفسي لها، فمثلاً: عندما أتلفظ بكلمة الله أكبر يجب أن استحضر في ذهني بعض المعاني: الله أكبر، "أكبر من كل شيء"، الله أكبر، "أكبر من نفوسنا"، الله أكبر، "أكبر من مالي وأهلي وولدي"[1].

وأرى أن أسوأ ما يصيب الإنسان في هذه الحياة هو إحساسه بالظلم والقهر والضعف واليأس، وتأتي إليه كلمة (الله أكبر) كشفاء لكل أوجاعه حين يستحضر معها أن الله أكبر من كل همّ، أكبر من القهر، أكبر من كل قوة، فتراه يقف على قدميه قوياً ثابتاً، لا يأبه لإيذاء من حوله له، ولا تزعزعه الرياح، ويشعر بالراحة العظمى، وهذا ما نلاحظه في الصلاة، إذ أن التكبير يتكرر فيها مراراً وتكراراً، وكأن الله يريد أن يرسّخ في قلب المصلي أنه كلما غلبته همومٌ وأحزانٌ وأمراضٌ وأسقامٌ بأن الله أكبر من كل هذا، فيقول: الله أكبر، مفتتحاً بها الصلاة، حتى أن هذه الكلمة تعتبر مفتاحاً من مفاتيح الخشوع وعدم السرحان في الصلاة، وهذا ما يشكو منه اليوم الكثيرون، إذ أن الأفكار تهجم على الإنسان في صلاته، ويأتي العلاج بكلمة الله أكبر، فما عليك إلا أن تكبر الله فوق أي فكرة، فالله أكبر من أي مكسب أو مال أو إنسان، أو همّ أفكر فيه وأنا بين يدي الله، فكلما خطرت ببالي خاطرة كابدتُ نفسي وكبرت الله فوقها، حتى تذهب، وأمضي خاشعاً في صلاتي، وأتلذذ بهذه الأركان كما ينبغي.

خامساً: **روضة الصلاة على النبي**

إن الصلاة على النبي ﷺ من أشرف الأذكار التي يرددها المسلم في حياته اليومية، ومن أعظم الأعمال التي تكون سبباً في تنزل رحمات ربه عليه وقربه منه، وتكون له كذلك سبباً في دخول الجنة،

---

[1] انظر: وليد الهودلي، مدونة بعنوان: (**أذكار الأحرار**)، ص34-35، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html.

ومجاورة الحبيب ﷺ، فالصلاة على النبي ﷺ باب من أبواب الخير في الدنيا والآخرة، فهي سهلة الفعل عظيمة الأجر، لا ينبغي للمسلم الذي أُشرب قلبه إيماناً أن يفتر لسانه عنها.

وللصلاة على النبي أثرٌ على النفس، وكيف أن الناس اعتادوا أن يتلفظوا بها، دون أن يشعروا بأثرها على نفوسهم، وسأعرض الآية التي ورد فيها فضل الصلاة على النبي ﷺ حتى نصل إلى الهدف المقصود.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]. يقول القشيري في تفسير هذه الآية: "أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون للأمة عنده ﷺ يَدٌ خدمةٍ، كما له بالشفاعة عليهم يَدُ نعمة، فأمرهم بالصلاة عليه، ثم كافأ سبحانه عنه؛ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**"[2]، في هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني عن الزيادة من الله في وقت من الأوقات؛ إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول، وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة عليه"[3].

ويقول الطبري: "يقول الله تعالى إن الله وملائكته يباركون على النبي ﷺ، ومعنى ذلك أن الله يرحم النبي، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هي دعاء، ويقول: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد ﷺ (وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) يقول: وحيّوه تحية الإسلام"[4].

---

[1] سورة الأحزاب، آية (56).

[2] أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم(1297)، (50/3)، وأحمد في مسنده، حديث رقم(11998)، (57/19)، وصححه الألباني، (انظر، التبريزي، **مشكاة المصابيح**، (291/1)).

[3] القشيري، **لطائف الإشارات**، (170/3).

[4] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (320/20).

ويقول النووي: "أي يصلون على النبي، إعلاماً منه تعالى لعباده، حتى يتم انقيادهم لما أُمروا به ونُهوا عنه، بذكرهم لهذه المنزلة الرفيعة لنبّيه محمد ﷺ، ثم أمرنا معشر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي، والصلاة هي الدعاء، ومعنى (اللهم صلِ على محمد): عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود، و قيل: معنى صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الاستغفار، وقيل: معنى صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة رقّة تبعث على استدعاء طلب الرحمة"[1].

قال الشعراوي في تفسير هذه الآية: "الصلاة من الله ليسَ بمعنى الدعاء، إنما هي تنفيذ مباشر ورحمة شاملة وعامة، ويكفي من رحمته تعالى لنبيه ﷺ أن جعله خاتم الرسل، فلا يستدرك عليه أحد، يكفيه من رحمته وإنعامه وثنائه عليه أن قرن اسمه باسمه؛ لذلك خاطبه بقوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[2]، يكفيه من تكريم الله له أنه سيقبل شفاعته يوم القيامة، لا لأمته فحسب، إنما للخلق جميعاً، يكفيه أن الله تعالى خاطب كل رسله بأسمائهم المشخصة لهم، وخاطبه هو بالوصف المكرم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ... ﴾"[3]، أما عن صلاة الملائكة فهي دعاء، فإذا كان الخلق جميعاً محل صلاة الملائكة واستغفارهم ودعائهم، حتى الذين أذنبوا منهم، ثم تابوا، فما بالك برسول الله، وهو هادي الناس جميعاً، أما الصلاة من المؤمنين، فهي الاستغفار، واستغفارهم ليس لرسول الله، إنما هو استغفارهم لأنفسهم؛ لأن رسول الله جاء رحمة لهم، وما دام جاء رحمة لهم كان من الواجب ألا يغيب توقيره عن بالهم أبداً، فهم

---

[1] ابن علان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (3/300-301).

[2] سورة الشرح، آية (4).

[3] سورة الممتحنة، آية (12).

إن استغفروا، فاستغفار عن الغفلة عنه ﷺ. إذن فالصلاة من الله الرحمة العامة المطلقة، والصلاة من الملائكة الدعاء، والصلاة من المؤمنين الاستغفار"[1].

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصلاة على النبي ﷺ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً**"[2].

"وفي شرح صحيح مسلم للنووي أن معنى قوله: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً): أي أن الله رحمه وضاعف له أجره"[3]. وما أجمل ما قاله صاحب كتاب القول البديع: "وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى"[4]. وهو ما يعني أن نَيْل المسلم لصلاة واحدة من الله تعالى، يدلّ على أنه نال رحمته تعالى، وعظيم أجره.

وبعد هذا العرض يأتي السؤال الذي يطرح نفسه دائماً: إلى أين تمضي بنا الصلاة على النبي ﷺ، وما هو الهدف الرئيس منها؟

لعلّ تقوية حضور النبي ﷺ في قلوبنا من أهم النتائج الملموسة لهذا الذكر، أثناء صلاتي على النبي ﷺ يتراءى أمامي صدق رسول الله ﷺ وشجاعته، وكرمه، وحلمه، وشكره، وعبوديته لله، وتواضعه، وتصبح هذه الأخلاق مناراً أهتدي به في حياتي، فكلما ذكرته حصلت عملية الزراعة في أعماق القلب لهذه المحبّة، ويتبع هذه الزراعة تعلّق كبير لكل ما يمثل رسول الله في حياة المؤمن، فهو الشخصية الأولى التي تستحق

---

[1] الشعراوي، **الخواطر**، (12145/19).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، (306/1)، حديث رقم (408).

[3] النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص354.

[4] السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: 902هـ)، **قول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، ص35، دار الريان للتراث.

أعلى درجات الاتباع والاقتداء، وبالتالي يستطيع المسلم أن يحمي نفسه من أهل الضلال والفساد وأصحاب المثل السيء.

يقول الدكتور ماجد الكيلاني: "إن الدوران حول الأشخاص يولِّد آفة مريضة، وحول الأشياء آفة ميتة، بينما حول الأفكار آفة حية فكيف يكون الدوران حول الرسول الله ﷺ؟ لذلك فهو دوران حول الأفكار والأخلاق والأفعال، التي تمثل الرسالة خير تمثيل، وبالتالي فهو دوران حول رسالة السماء التي تم ترجمتها من خلال شخص رسول الله أعظم ترجمة"[1].

وهذه النتائج لن نحصل عليها إلا بعد وقفة تأملية في تدريب عملي للصلاة على النبي ﷺ كقولنا: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم، "نُجيش في القلب حبنا لرسول الله"، وقولنا: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم، "قدوتنا رسول الله"، واللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم، "لنقترب من أخلاقه".

وأرى أن الصلاة على الرسول ﷺ علامة على محبتنا له، وكلما صلينا عليه أكثر، ازددنا حباً له، وهذا الحب هو التيار الكهربائي الذي ينير لنا الدرب، ومن ثم يتعاظم حضور الرسول في قلوبنا أكثر وأكثر، والصلاة على النبي لها أثر بالغ في تفريج الهموم؛ لأنها تحمل معنى الرحمة والسكينة، فكأن الرحمات تتنزل من الله سبحانه وتعالى على نبيّه، ومن ثمّ تتنزل على العبد الذي يتلفظ بهذا الذكر، ولا ننسى أن عاطفة الحب وحدها لا تكفي، فإن علامة محبة النبي ﷺ اتباعه واقتفاء أثره والاقتداء بأخلاقه وسلوكه، تقول الآية القرآنية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وذكر الله غير منحصر في التسبيح والتهليل والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعته، فهو ذاكر له، وقال بعضهم: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، تصلي وتصوم،

---

[1] الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص23.

[2] سورة آل عمران، آية (31).

تزكي وتحج، وتنكح وتطلق، وأشباه هذا، وقال غيرهم: الذكر هو طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره، وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن، فمتى كان الرجل مطيعاً كان في ذكره كثيراً، وأرى أن كل من ابتعد عن معصية وَرَعَاً من الله تعالى، أو فعل ما يرجو به ثواب الله تعالى فهو ذاكرٌ لله بامتياز وإن لم يتلفظ بلفظ التسبيح والتهليل والتكبير ونحوه[1].

[1] انظر: الحبيشي، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، (ت: 782هـ)، **البركة في فضل السعي والحركة وما ينجي بإذن الله تعالى من الهلكة**، ص558، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان–بيروت، الطبعة: الأولى، 1437هـ/2016م.

المبحث الثاني: العبادة الذكية (الذكر) وأثرها في علاج النفس

مفهوم العبادة الذكية

العبادة الذكية هي أن تصل بنا العبادة إلى أفضل وأبهى صورها، مثال: من يزرع شجرة مثمرة، ويرعى هذه الشجرة حتى يحصل على ثمرها على أفضل ما يكون الثمر فإنه مزارع ذكي. وهكذا العبادة لن تكون ذكية إلا إذا عرفنا هدفها ثم عملنا جهدنا ووصلنا الى هذا الهدف ، وأثّر في حياتنا نعم الأثر. وعبادة الذكر هامة جداً في صناعة التزكية والإرادة والهمة العالية؛ لأنها القاعدة التي تنطلق منها كل الفضائل وتطمئن بها القلوب وينشرح بها الصدر. وهدف الذكر الحضور الدائم مع الله خشية ومحبة وتعظيماً وهذه تنتج استقامة وعملاً صالحاً وأخلاقاً عالية، ولكل نوع من الذكر هدف يثمر أحسن الثمر[1] .

فذكر الله طريق رائع للصحة النفسية، لأنه يربط العبد بربه بعروة وُثقى لا انفصام لها، ويقود إلى الخير العظيم في الدنيا والآخرة، ويربّي النفس على الإيثار، ويجنّبها الجنوح عن جادة الحق، كما يملأ القلب سكينة وطمأنينة وأمناً، وبهذا المعنى يكون الذكر اشتغالاً برياضة النفس، وترويضها، بحيث يحصل للذاكر أُنس، فلا يغفل قلبه أبداً، ويَشهد الله دواماً، فيراه بقلبه ويراه بنفسه، ويشعر بسعادة لا يعادلها سعادة[2].

وقد بُذلتْ أخيراً جهود كثيرة في ميدان العلاج النفسي للأفراد الذين يعانون من الاضطرابات الشخصية والأمراض النفسية، وظهرت في هذا الميدان أساليب مختلفة للعلاج النفسي، غير أنها جميعاً لم تحقق النجاح المرجوّ في القضاء على الأمراض النفسية، وأثبتت بعض الدراسات أن معدلات الشفاء بين المرضى النفسيين الذين يُعالجون بطريقة التحليل النفسي تتراوح بين (60%-64%)، وهي معدلات غير

---

[1] انظر: وليد الهودلي، **العبادة الذكية**، بيت المقدس للأدب، http://www.bitmaqdes.ps/?q=content/العبادة-الذكية.

[2] انظر: الشرقاوي، حسن محمد، **نحو علم نفس إسلامي**، ص239، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م.

مُرضية إذا أخذنا باعتبارنا أن معدلات المرضى النفسيين الذين يتخلصون من أعراضهم من غير أن يتلقوا أي علاج نفسي تتراوح بين (44%-66%)[1].

ومبحث العبادة الذكية هذا فيه مطلبان اثنان:

المطلب الأول: أثر ذكر الله في علاج بعض الأمراض النفسية

نلاحظ اليوم ما يمر به الإنسان من ضغوطات نفسية ينجم عنها ضيق الصدر والخوف والقلق والوسواس، وغير هذا من الأمراض التي يتعرض لها المرء، لذلك كان لزاماً على المرء أن يفهم مكنونات هذه النفس ويعتني بها، ويزودها بما يصلحها ويحييها، تماماً كما يزود الجسم بكل ما يحتاجه ويصلحه، فالإسلام سعى جاهداً إلى بناء نفس سليمة معافاة من أي مرض، كما أنه وضع لها العلاجات من الأسقام المختلفة، ويعدّ ذكر الله تعالى من أفضل الطرق التي استخدمها القرآن في العلاج النفسي؛ إذ أن المسلم يبقى على صلة دائمة بربه، فيحمي تلك النفس من الوقوع في المعاصي والشهوات، والأذكار بطبيعتها تُتلى في غالبية اليوم صباحَ مساءَ وبعد الصلوات، فهي تستوعب اليوم بأكمله، مما يجعل لها آثاراً نفسية جليلة على نفس الذاكر، فيستطيع الوقوف أمام الصدمات والأزمات ويتجاوز العقبات، كما أنها تُنقي القلب من الأدران التي تميته، كالحقد والحسد والغرور، وتصرف عنه وساوس الشيطان، وتملأ القلب طمأنينة وثقة، وبهذا تتبدد كل المخاوف، ويحل محلها الشعور بالأمان والاطمئنان، فيحيا الذاكر حياة هانئة مستقرة بعيدة عن مشاعر القلق والخوف واليأس والاكتئاب والوساوس المزعجة.

---

[1] انظر: نجاتي، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، ص266، دار الشروق- القاهرة، الطبعة: الثامنة، 1425هـ/2005م.

ومعنى العلاج النفسي كما عرّفه بعض العلماء: "مداواة النفس المضطربة عن طريق التأثير في نفس المريض، وسلوكه، ويستهدف العلاج النفسي علاج اضطرابات الشخصية، وسوء التكيف، ويسعى لإعادة تمتع الفرد بالتكيف الملائم"[1].

والقرآن الكريم قد تكلم عن بعض هذه الأمراض، وأعطى العلاج المناسب لها، ومن هذه الأمراض:

أولاً: ضيق النفْس

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[4].

قال ابن القيم رحمه الله: "الحَرَجْ هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم"[5].

وفي الدرّ المصون أن للعلماء أقوالاً في قوله تعالى: (ضيّقاً حَرَجاً)، وهل فيه تكرار؟ فبعضهم قال: "ليس فيه تكرار"، وقال بعضهم: "ومعنى حَرِج يعني بالكسر كمعنى ضيق، كُرِّر لاختلاف لفظه للتأكيد"، قال في الدر المصون: "إنما يكون للتأكيد حيث لم يظهر بينها فارق، فتقول: كُرِّر لاختلاف اللفظ كقوله:

---

[1] عبد الرحمن العيسوي، **الإسلام والعلاج النفسي**، ص47، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

[2] سورة الحجر، الآيات (96- 98).

[3] سورة الكهف، آية (6).

[4] سورة فاطر، آية (8).

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، (106/1)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م.

(صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)"[1]. وبدا مما تقدم أن التكرار هنا هو تكرار اللفظ، لا تكرار المعنى، فالضيق والحرج يؤديان معنى واحداً في هذا السياق.

وقال صاحب (معجم مقاييس اللغة) أن الحرج (الحاء والراء والجيم) أصل واحد، وهو معظم الباب وإليه مرجع فروعه، وذلك تجمع الشيء وضيقه، فمنه الحرج جمع حَرجة، وهي مجتمع شجر، ويقال في الجمع حرجات، ويقال حراج، ومن ذلك الحرج الإثم، والحرج الضيق[2]، أما الضيق (فالضاد والياء والقاف) كلمة واحدة تدل على خلاف السعة، وذلك هو الضيق والضيقة[3].

أثبت القرآن الكريم أن الضيق والحرج من الأمراض التي تصيب النفس، يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]، فقد نزلت هذه الآية في كعب بن مالك وزميليه الذين تخلفوا عن ركب رسول الله ﷺ في ساعة العُسرة، فقد أدركهم الضعف البشري الذي يحبب إليهم الظل والراحة، فآثروهما على الجهاد في الحرّ والشدّة. (حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ): آخر أمرهم ضاقت عليهم الأرض بما (رَحُبَتۡ)، أي برحبها وسعتها، لإعراض الناس عنهم، وعدم مجالستهم ومحادثتهم لأمر النبي لهم بذلك، والمراد أنهم لن يقروا في الدنيا مع سعتها فهم منها في حرج وضيق، فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم، ولا تسعهم، وتضغطهم فتتكرب أنفاسهم[5].

---

[1] السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت: 756هـ)، الدر المصون، في علوم الكتاب المكنون، (145/5)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

[2] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (51/2).

[3] المرجع نفسه، (383/3)

[4] سورة التوبة، الآيتان (118).

[5] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص 1732.

وقال صاحب كتاب (روح المعاني): وضاقت عليهم أنفسهم أي قلوبهم، وعبّر عنها بذلك مجازاً، لأن قيام الذوات بها، وفي هذا ترقٍّ من ضيق الأرض عليهم إلى ضيق في أنفسهم، وهو في غاية البلاغة[1].

يقول ابن عاشور: ضيق الأرض استعارة أي حتى كانت الأرض كالضيقة عليهم، أي عندهم" وذلك التشبيه كناية عن غمهم وتنكر المسلمين لهم، فلقد تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة، وهي المعروفة والموصوفة بسعتها، وضيق أنفسهم استعارة للهم والغم، لأن الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق، لذلك يُقال للمحزون: ضاق صدرك، وللمسرور شرح صدرك[2].

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ بَشَرْ، لا يملك نفسه أن يضيق صدره وهو يسمع الشرك بالله، ويسمع الاستهزاء بدعوة الحق، فيغار على الدعوة ويغار على الحق، ويضيق بالضلال والشرك، لهذا يُؤْمَر أن يسبح بحمد ربه دائماً، حتى يأتيه اليقين الذي ما بعده يقين، فيمضي إلى جوار ربه الكريم، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3]، وكأن الآية تقرّر أن هذا النوع من الضيق سيبقى ملاحقا للرسول ﷺ وأن مواجهته تكون بالتسبيح والسجود دائماً، وفي الآية يتجلَّى تقدير الحق سبحانه لمشاعر النبوة، فالحق يُكلِّفه أنْ يفعلَ كذا وكذا، وهو سبحانه يعلم أيضاً ما يعانيه ﷺ في تنفيذ أوامره[4].

---

[1] انظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (40/6).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (53/11).

[3] سورة الحجر، آية (98).

[4] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (2155/4).

ومعنى ضيق الصدر أنْ يقِلّ الهواء الداخل عَبْر عملية التنفُّس إلى الرئتين؛ فمن هذا الهواء تستخلص الرئتان الأوكسجين؛ وتطرد ثاني أكسيد الكربون؛ ويعمل الأكسجين على أنْ يُؤكسِدَ الغذاء لِينتجَ الطاقة؛ فإنْ ضاق الصَّدْر صارت الطاقة قليلة[1].

والمثَل يتضح لِمَنْ يصعدون السُّلَّم العالي لأيّ منزل أو أيّ مكان مرتفع، حيث يجدون أنفسهم ينهجون؛ والسبب في هذا النهج هو أن الرئة تريد أنْ تُسرِعِ بالتقاط كمية من الهواء أكبر من تلك التي تصل إليها، فيعمل القلب بشدة أكثر كي يُتيح للرئةِ أن تسحبَ الهواء، أما مَنْ يكون صدره واسعاً فهو يسحب ما شاء من الهواء، فكأن رسول الله ﷺ حين كان يُكذِّبه أحد، أو يستهزئ به كان يضيق صَدْره فتضيق كمية الهواء اللازمة للحركة؛ ولذلك يُطمئِنه الحق سبحانه أن مَدَده له لا ينتهي.

وضيق الصدر بالنفس ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]. وهنا نجد أن الحق سبحانه يشرح عملية الصعود وكأن فيها مجاهدةً ومكابدةً، وهذا يخالف المسألة المعروفة بأنك إذا صعدتَ إلى أعلى وجدتَ الهواء أكثرَ نقاءً.

وورد ذكر حزن النبي ﷺ لتكذيب قومه له في قوله سبحانه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[3]، فأنت يا رسولَ الله أكرم من أنْ تكذَّبَ، فقد شهدوا لك بحُسْن الصدق عبر معايشتهم لك من قبل الرسالة.

---

[1] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (7784/13).

[2] سورة الأنعام، آية (125).

[3] سورة الأنعام، آية (33).

ويدلُّ الحق سبحانه رسوله ﷺ على علاج لمسألة ضيق الصدر حين يُحزنه أو يؤلمه مُكذّب، أو مُسْتهزئ[1]؛ فيقول سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ..﴾.

وهكذا يمكن أن تُذْهب عنك أيَّ ضيق، حين تسبح الله. وإذا ما جافاكَ البِشْر أو ضايقك الخَلْق؛ فاعلم أنك قادر على الأُنْس بالله عن طريق التسبيح؛ ولن تجد أرحم منه سبحانه، وأنت حين تُسبِّح ربك فأنت تُنزِّهه عن كُلِّ نقص وتحمده، لتعيش في كَنَف رحمته. ولذلك نجده سبحانه يقول في موقع آخر: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2]، ولذلك إذا ضاق صدرك في الأسباب فاذهب إلى المُسبِّب[3].

فالتسبيح يولّد الرضا: يقول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[4]، وقد يتساءل البعض منّا: ما علاقة التسبيح بالرضا؟ وكيف أن التسبيح يؤدي إلى الرضا؟ نرى الإجابة من خلال ما قاله الشعراوي في خواطره في تفسير هذه الآية: التسبيح صفة الله قبل أن يخلق من يسبحه، فإذا كان التسبيح ثابتاً لله قبل أن يوجد المسبّح، فأنت أيضاً سبح باسم ربك الأعلى ، ومعنى (بِحَمْدِ رَبِّكَ)، يعني: أن التسبيح نعمة، عليك أن تحمد الله على أنه لا شيء مثله، فأنت تسبح تسبيحاً مصحوباً بالحمد، وكون الله ليس كمثله شيء ومنزّه فهذه نعمة تستحق الحمد، و(قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)، أي: تسبيحاً دائماً متوالياً، كما أن نعم الله عليك متوالية لا تنتهي، لكن لماذا أطلق زمن التسبيح بالليل فقال: آناء الليل، وحدده بالنهار، فقال: أطراف النهار، لأن النهار محلّ للعمل والسعي، فربما شغلك التسبيح عن عملك، أما في الليل

---

[1] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (7786/13).

[2] سورة الصافات، الآيتان (143، 144).

[3] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (7786/13).

[4] سورة طه، آية (130).

فأنت مستريح يمكنك التفرغ فيه لتسبيح الله في أي وقت من أوقاته، أما علاقة التسبيح بالرضا، فنقول: إنّ الحق سبحانه وتعالى يحثّ على العمل بالنفعية، فكأن المسألة عائدة عليك ولمصلحتك، فإن تُحققْ لله تعالى ما يريد يحقق لك ما تريد، والرضا أن تصل فيما تحب إلى ما تؤمل، والإنسان لا يرضى إلا إذا بلغ ما يريد، وهكذا يكون الرضا في أعلى مستوياته، فحين تسبّح تُرضي الله، وحق على الله أن يرضيك[1].

وأرى أن هذه الآيات العظيمة أرشدت إلى الدواء الذي يستشفى به من ضيق الصدر، والترياق الذي تستطب به النفوس، إذ أن التسبيح يساعد الإنسان على التخلص من الضغوطات النفسية، فهو يُترجم إلى أفعال وليس فقط إلى أقوال، فالإنسان عندما يسبح يتدبر ويتفكر في قدرة الله وعظمته، وكيف أنه منزه عن كل النقائص، وأنه رغم أنه يُعصى وتُنكر نعمه من قِبل المخلوقات، ولكنه سبحانه منزه عن كل نقص، ولكن هذا لا يكفي، إذ أن مجرد قول اللسان (سبحان الله) عقلاً لا يحقق الرضا، ولكن هناك بعض الأمور التي يجب أن يستحضرها الإنسان في يومه كي يُحدث التسبيح ذلك الأثر، وحتى نرى الأثر النفسي للتسبيح واضحاً لا بد من تدريب عملي نقوم به يومياً.

ثانياً: الوسوسة

"(الْوَسْوَسَةُ) حديث النفس، يُقَالُ: (وَسْوَسَتْ) إليه نفسه (وَسْوَسَةً) وَ (وِسْوَاسًا) بِكَسْرِ الْوَاوِ. (وَالْوَسْوَاسُ) بِالْفَتْحِ الِاسْمُ كَالزِّلْزَالِ وَالزَّلْزَالِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[2]، يُرِيدُ إِلَيْهِمَا وَلَكِنَّ الْعَرَبَ تُوصِلُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ كُلِّهَا الْفِعْلَ. وَيُقَالُ لِصَوْتِ الْحُلِيِّ: (وَسْوَاسٌ)، وَالْوَسْوَاسُ أَيْضًا اسْمُ الشَّيْطَانِ"[3]. الوسواس هو أفكار غير معقولة تلازم الموسوس، وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار تتسلط على هذا

---

[1] انظر: الشعراوي، **الخواطر**، (9450/15- 9454).

[2] سورة الأعراف، آية (20).

[3] الرازي، **مختار الصحاح**، (339/1).

الشخص، ومادة الأفكار الوسواسية لا تنحصر؛ فقد تُركز الوسواس وتدور حول الشك في الغيب أو ارتكاب جريمة، أو قرب أجل، أو فكرة انتحار، أو إصابة بالمرض أو غير ذلك، ويتميز الموسوس أنه يكون واعياً بتفاهة الأفكار الوسواسية، لكنه مدفوع للتفكير فيها، وتكرار الأفعال التي تمليها عليه، مُرغماً من داخله على ذلك[1].

ويرى بعض علماء النفس المُحْدَثين أن الوسواس يطلق على فكرة أو مجموعة أفكار تفرض نفسها على لاشعور المريض مخالفة لإرادته ورغبات نفسه، حتى إن المريض النفسي يستطيع أن يتعرف على شذوذ هذه الفكرة، بل ربما يشكو منها، فالوسواس بهذا المعنى عند علماء النفس حالة نفسية قهرية تبدو في صورة فكرة متصلبة أو شعور متسلط أو اندفاع إجباري للقيام بعمل معين[2].

ولقد عالج القرآن الكريم هذه الوسوسة، تقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، ومعنى ينزغنك: يصيبنك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل. (فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ)، أي: اطلب النجاة من ذلك بالله، وأصل النزغ الفساد، يقال: نزغ بيننا، أي: أفسد، ومنه قوله: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾[4]، وقيل: النزغ: هو الإغواء والإغراء، والمعنى متقارب[5].

---

[1] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات الإسلامية**، ص403.

[2] انظر: راجح، أحمد عزت، **أصول علم النفس**، ص492، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة: السابعة، 1968م.

[3] سورة الأعراف، آية (200).

[4] سورة يوسف، آية (100).

[5] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (348/7).

وقال الماوردي: "قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن النزغ الانزعاج، والثاني: الغضب، والثالث: الفتنة، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سميع بجهل من جهل، عليم بما يزيل عنك النزغ"[1].

وما أروعه من تفسير للقشيري حين قال: "إن سنح في باطنك من الوساوس أثر فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق، وإن هجس في صدرك من الحظوظ خاطر فاستعذ بالله يدركك بإزالة كل نصيب، وإن لحقتك في بذل الجهد فترة فاستعذ بالله يدركك بإدامة آلائه، وإن اعترتك في الترقي إلى محل الوصول وقفة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التحقيق، وإن تقاصر عنك شيء من خصائص القرب- صيانة لك عن شهود المحل- فاستعذ بالله يثبتك له بدلا من لك بك"[2].

"وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان استعارة: شبّه حدوث الوسوسة الشيطانية في النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفي، وشاعت هذه الاستعارة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة، والمعنى أنه إذا ألقى الشيطان إليك ما يخالف أمر الله بما سوّل لك من الأخذ بالمعاقبة أو سوّل لك ترك أمرهم بالمعروف غضباً عليهم أو يأساً من هداهم، فاستعذ بالله منه، ليدفع عنك حرجه، ويشرح صدرك لمحبة العمل بما أمرت به، والاستعاذة مصدر طلب العوذ، فالسين والتاء فيها للطلب، والعوذ: الالتجاء إلى شيء يدفع مكروهاً عن الملتجئ، يقال: عاذ بفلان، وعاذ بالحرم، وأعاذ إذا منعه من الضر الذي منع من أجله، فأمر الله بدفع وسوسة الشيطان بالعوذ بالله، والعوذ بالله هو الالتجاء إليه بالدعاء، بالعصمة، أو

---

[1] الماوردي، **النكت والعيون**، (2/288-289).

[2] القشيري، **لطائف الإشارات**، (1/598).

استحضار ما حدده الله له من حدود الشريعة"[1].وورد ذكر الوسوسة أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2]، "يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدِّث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه"[3].

والوسواس نوعان[4]:

الأول: وسوسة الأفكار، فإن العبد لا يُسأل عنها كيفما كان موضوعها، لأنها تهجم عليه قهراً، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ :إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: "وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ"**[5]، ومعنى هذا الحديث أن هذه الإلقاءات والوساوس التي يلقيها الشيطان في صدور المؤمنين تنفر منها قلوبهم، ويعظم عليهم وقوعها عندهم، وذلك دليل على صحة إيمانهم ويقينهم، ومعرفتهم بأنها باطلة، وأنها من إلقاءات الشيطان، ولولا ذلك لركنوا إليها ولقبلوها، ولم تعظم عندهم ولا سموها وسوسة، وقوله: (فليستعذ بالله)، فلما كانت هذه الوساوس من إلقاء الشيطان ولا قوة لأحد على دفعه إلا بمعونة الله تعالى وكفايته؛ أمر بالالتجاء إلى الله، والتعويل في دفع ضرره عليه، وذلك معنى الاستعاذة، والوسوسة وزنها فعللة، وهي صيغة

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (9/229-230).

[2] سورة ق، آية (16).

[3] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (22/341).

[4] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية** ص4047-408.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب بيان الوسوسة في الايمان وما يقول من وجدها، حديث رقم (٢٠٩)، (١/١١٩).

مُشعرة بالتحرك والاضطراب؛ كالزلزلة والقلقلة، وأصل الوسوسة: الصوت الخفي، ومنها سُمي صوت الحلي الوسواس[1].

الثاني: وسوسة الأفعال، تكون عن طريق تكرار الوضوء والغسل والصلاة.

وقد ورد في الوسوسة بالأفعال عن عُثْمَانَ بْن أَبِي الْعَاصِ[2] رضي الله عنه أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا"**، قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي"[3]. وخنزب بخاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة ومفتوحة، وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثاً، ومعنى يلبسها، أي: يخلطها، ويشككني فيها، ومعنى حال بيني وبينها، أي: منعني لذتها والفراغ للخشوع فيها[4].

"وخلاصة هذا المرض أنه أفكار متكررة تتدخل في السلوك السوي وتعطله، فتشغل ذهن المريض، ويشعر بنوازع تبدو غريبة عنه، ويضطر للقيام بتصرفات لا تجلب له السرور، ولا يملك القدرة على التخلي

---

[1] انظر: أبو العباس القرطبي، **المفهم لما أشكل من كتاب صحيح مسلم**، (2/109-111).

[2] هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله، وأبا عمرو، كنيتان مشهورتان له، قيل: إنه ولدت له رقية ابنة رسول الله ﷺ ابنا، فسماه عبد الله، واكتنى به، ومات ثم ولد له عمرو، فاكتني به إلى أن مات رحمه الله، وقد قيل: إنه كان يكنى أبا ليلى، ولد في السنة السادسة بعد الفيل. هاجر إلى أرض الحبشة فارا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان أول خارج إليها، وتابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية- كانت عليلة فأمره رسول الله ﷺ بالتخلف عليها، (انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، (3/1038)).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث رقم(2203)، (4/1728).

[4] انظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (1376).

عنها، والأفكار الوسواسية قد لا يكون لها معنى في ذاتها، وقد لا تعني شيئاً بالنسبة للمريض، وكثيراً ما تكون في منتهى السخف، وهو يحمل الهمّ دون إرادة منه، وكأن الأمر يتعلق بالحياة أو الموت بالنسبة له"[1].

"ويعالج علم النفس الإسلامي مرض الوسواس بغير الطرق المستخدمة في علم النفس الحديث، فالأصل في الوسواس عند الأئمة أنه شيطان رجيم يدخل إلى صدر العبد الذي يوسوس له، فإذا ذكر الله خنس الشيطان وخرج من صدره، والشيطان يزين للعبد طريق الضلالات، ويحسن له سبيل العصيان ويخدعه بوسوسته، إلا أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، ويستطيع العبد أن يجتهد في دفع وسوسة الشيطان عن نفسه وذلك بمخالفته والابتعاد عنه لأنه عدوه اللدود"[2]، والعاقل يعرف عدوه من صديقه، فيطيع صديقه ولا يتبع عدوه، أما الجاهل فيتبع الشيطان[3].

فالشيطان يوسوس للإنسان، ويزين له فعل المعصية، ويشعره بأنها خير له ومنفعة، وهذا الوسواس لا يأتي قهراً، فالشيطان ليس له سلطان على الإنسان ليقهره على فعل الشر، سوى أنه يستغل ضعف الإنسان ويدخل له من عدة منافذ، كلٌ حسب نقطة ضعفه، فإن كانت نقطة الضعف في المال يوسوس له حتى لا يخرج الزكاة، وإذا وجد الشيطان إنساناً متساهلاً في صلاته لا يحافظ على أدائها في وقتها، فإن حان وقت الصلاة يوسوس له بتأجيلها، لذلك على الإنسان أن يضيق جميع مداخل الشيطان حتى لا يتعرض للعذاب النفسي، ولعلّ أحدهم يتساءل: ما السبيل إلى علاج هذه الوسوسة؛ إذ أننا لا نرى الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ

---

[1] ريتشارد م. سوين، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، علم الامراض النفسية والعقلية، ص391، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1988م، الكويت.

[2] الشرقاوي، **نحو علم نفس إسلامي**، ص131.

[3] انظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت: 373هـ)، **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، ص598، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2000م.

﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾[1]، فالجواب أن السبيل هو ذكر الله عز وجل، والاستعانة به وحده، وقد أعطانا القرآن مجموعة من الأذكار التي يقولها الإنسان لدفع وسوسة الشيطان ومنها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

"والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني عن فعل ما نُهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عمّا هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل الرشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه"[3].

والاستعاذة إذن فرار من الشيطان، ودعاء إلى الله أن يُنجي العبد من الوقوع في مخالبه والتعرض لمكائده، لأنه رأس كل خطيئة ومبعث كل ضلالة، وبيت كل داء، والشيطان هو العدو الحقيقي للنفس البشرية، وهو يحاول دائماً أن يستجلب كل من يستطيع أن يغويه من بني الإنسان، لذلك وجب أن يحترز العبد، حتى لا يكون لشيطان في نفسه مُقام لسبب من الأسباب[4].

---

[1] سورة الأعراف، آية (27).

[2] سورة الأعراف، آية (200).

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (29/1).

[4] انظر: الشرقاوي، **نحو علم نفس إسلامي**، ص332.

لذلك فإن السبيل الحق الموصل لمحاربة هذا الشيطان إنما يتركز على الدعائم الآتية:

أولاً: أن تستعيذ بالله ظاهراً وباطناً بالقول والعمل.

ثانياً: أن يثبت العبد على دينه، ويحافظ على أداء التكاليف والفرائض.

ثالثاً: وهذا هو الذي يعنيني في هذا المقام، التقرب إلى الله بالمواظبة على الذكر، كما قال الله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]، وكما قال أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2]، والذكر هو الحصن الحصين الذي لا يستطيع الشيطان أن يطرقه، لأن العبد فيه آمن على نفسه[3]. هذه الآيات تدور حول ذكر الله عامة، غير أن ثمة آيات تدلّ على نوع من الذكر مختص بدفع شرّ الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[5].

ولا بد أن أذكر حديثاً نبوياً شريفاً يدل على الاحتراز من شرّ الشيطان، وهو ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى**

---

[1] سورة الأحزاب، آية (41).

[2] سورة الرعد، آية (28).

[3] انظر: عبد القادر الجيلاني، ابن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين، (ت: 561هـ)، **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل**، (198/1)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة:الأولى، 1417هـ/1997م.

[4] سورة الناس، الآيات (1-6).

[5] سورة المؤمنون آية، (97).

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ، إلا رجلٌ عمِل أكثرَ منه"[1].

هذا الحديث فيه دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مئة مرة في اليوم كان له الأجر المذكور في الحديث على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور فيه فيمن قال هذا التهليل مائة مرة في يومه، سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس، أو بعضها، أول النهار وبعضها آخره، ولكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزاً له في جميع نهاره[2].

ثالثاً: القلق

من أخطر الأمراض التي تهدد النفس البشرية التوتر والقلق، والجميع منا يبحث عن الراحة النفسية والاطمئنان في كل ميدان، فترى المرء جاهداً يلهث وراء كل ما يحقق له السعادة والأمان، لكن قد تهجم أحياناً بعض الأمراض النفسية وتهدد تلك الراحة، ولا أصعب من قلق يجتاح نفس الإنسان ويجعله ضيقاً متوتراً يتخبط في الأرض لا يعرف للراحة سبيلاً، والقرآن الكريم فيه شفاء للناس ورحمة من تلك الأمراض، وكل ما علينا فعله هو البحث عن علاج لهذا المرض في الكتاب والسنة، ومن ثم تطبيق هذا العلاج على النفس، وسأتكلم في هذه النقطة عن القلق كمرض من أمراض النفس، وأحدد الذكر المناسب لعلاجه.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، حديث رقم(6403)، (85/8)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (2691)، (2071/4).

[2] انظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص1590.

"القلق: هو الاِنْزِعَاجُ. يُقال: بَاتَ قَلِقاً، وأقلَقَهُ غَيْرُهُ"[1]، "والشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويهتم العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب، فيراها في ضوء جديد بحيث لا يرى فيها ما يبرر الاستمرار في شعوره بالذنب والنقص، فيخف تأنيبه لنفسه، ويصبح أكثر تقبلاً لذاته، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي"[2].

والقلق: حالة شعوريةٌ مصحوبة بتغيرات فسيولوجية داخلية، وتأهب حركي خارجي، موضوعه الخوف، من إنشاء مجهول أو توقع خطر غير معروف، وللقلق درجات طبيعية وأخرى مَرَضية، فالقلق المرضي قلق غير معقول يستبد بالشخص ولا يعلم سببه، أما القلق الطبيعي فهو قلق معروف السبب، ويزول بزوال سببه، وله في حياة الإنسان وظيفة إيجابية؛ لأنه يستنفر الطاقة العقلية والحركية للتصرف الملائم حتى يزول مصدر القلق[3].

ولو بحثنا في القرآن الكريم لوجدنا علاج الشعور بالذنب واضحاً وصريحاً، إنها التوبة التي تغفر الذنوب وتبثُ في حياة الإنسان الأمل في رضوان الله، ثم إن التوبة تدفع الإنسان إلى إصلاح الذات وتقويمها، حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على إحساس الإنسان بقيمة نفسه وزيادة ثقته بها، ومن ثم يؤدي إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه[4].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (323/10)، و الرازي، **مختار الصحاح**، (259/1).

[2] مرسي، سيد عبد الحميد، **الإيمان والصحة النفسية**، ص215، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

[3] انظر: عز الدين توفيق، **التأصيل الإسلامي للدراسات الإسلامية**، ص387.

[4] انظر: نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، ص303.

كما أن اليقين بمغفرة الله يُذهب القلق الناتج عن عقدة الذنب، وهناك ضخٌ هائل من الآيات القرآنية التي تتحدث عن علاج القلق ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5].

قال صاحب كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل: "(وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا) أي ذنباً دون الشرك (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ) بالشرك أو سوءاً قبيحاً يتعدى ضرره إلى الغير، أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ) يسأل عن مغفرته[6]. عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: "أخبر الله عباده بعفوه وسعة حلمه ورحمته، فكل من أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، ولو كانت

---

[1] سورة آل عمران، آية (135).

[2] سورة النساء، آية (110).

[3] سورة التوبة، آية (118).

[4] سورة الزمر، آية (53).

[5] سورة النساء، آية (110).

[6] انظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ص394.

ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال"، روي أن امرأة جاءت إلى عبد الله بن المغفل[1] "فسألته عن امرأة فجرت فحبلت فلما ولدت قتلت ولدها قال عبد الله بن المغفل: مالها؟ لها النار، فانصرفت وهي تبكي، فدعاها ثم قال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، قال فمسحت عينها ثم مضت"[2].

قال صاحب كتاب جامع البيان: "أي من يعمل ذنباً ويظلم نفسه بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله، ثم يستغفر الله أي يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، وإقباله على الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه، وتذهب جرمه يجد ربه عليه ساتراً ذنبه رحيماً به"، واختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية فقال بعضهم: "عُني بهم الذين وصفهم بالخيانة بقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [3]، وقال آخرون: بل عُني بها الذين كانوا يجادلون عن الخائنين ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[4]، "والصواب أنه عُني بها كل من عمل سوءاً أو ظلم نفسه، وإن كانت نزلت في أمر الخائنين أو المجادلين الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها"[5].

---

[1] هو: عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عداء بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عداء بن عثمان بن عمرو المزني، ونقل البخاريّ عن يحيى بن معين أنه كان يكنى أبا زياد، وعن بعض ولده أنه كان يكنى بهما، وأنه كان له عدّة أولاد، منهم: سعيد، وزياد من مشاهير الصحابة، قال البخاريّ: له صحبة، سكن البصرة، وهو أحد البكاءين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة، ثبت ذلك في الصحيح. وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقّهوا الناس بالبصرة، وهو أول من دخل من باب مدينة تستر، ومات بالبصرة عام 59هـ ، وقيل: سنة ستين، فأوصى أن يصلّي عليه أبو برزة الأسلمي، فصلّى عليه. انظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (4/206-207) ، الزركلي، **الاعلام**، (4/139-140).

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (2/362).

[3] سورة النساء، آية (107).

[4] سورة النساء، آية (109).

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (9/194)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها قومٌ من أهل الشرك، قالوا لما دُعوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا، وقتلنا النفس التي حرم الله، والله يعد فاعل ذلك النار؟ وقال ابن عباس إن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه مَن عبَدَ الأوثانَ ودعا مع الله إلهاً آخر وقتل النفس التي حرم الله، لم يُغفر له، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة، وقتلنا النفس التي حرم الله، ونحن أهل الشرك". فالمعنى: لا تيأسوا من رحمتي إن الله يغفر الذنوب جميعاً[2].

ومعنى (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ): أي: أسرفوا على أنفسهم من ارتكاب الذنوب مع ثبوت الإيمان والتزامه، (لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ)، أي: لا تيأسوا من رحمة الله، (إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا) فيها ثلاثة أوجه، أحدها يغفرها بالتوبة منها، والثانية يغفرها بالعفو عنها، والثالثة يغفر الصغائر باجتناب الكبائر[3]، قيل نزلت هذه الآية والتي بعدها في وحشي قاتل حمزة.

ومن خلال هذه الآيات نلاحظ أن علاج القلق من خلال ذكر معين صرحت به الآيات تصريحاً واضحاً، ألا وهو الاستغفار، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

[1] سورة الزمر، آية (53).

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (306/21).

[3] انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (131/5).

[4] سورة آل عمران، آية (135).

"ويقال: فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم، أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم، فاستغفروا لذنوبهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم، علماً منهم بأنه لا وسيلة إليه إلا به، فخلصهم من ظلمات نفوسهم، ومن طهره الله بنور العناية صانه عن التورط في المغاليط البشرية"[1].

يقول صاحب كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل في تفسير هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ فعلة متزايدة القبح، (أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ) قيل: الفاحشة الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة، أو الفاحشة: الزنا، وظلم النفس: القبلة واللمسة ونحوهما، (ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ) ذكروا الله بلسانهم أو قلوبهم ليبعثهم على التوبة، **(فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ)** فتابوا عنها لقبحها نادمين، **(**قيل: بكى إبليس حين نزلت هذه الآية**)**، **(**وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ**)** جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة، وردع عن اليأس والقنوط، وبيان لسعة رحمة الله وقرب مغفرته، وإشعار بأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجل وأكرم، (وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟)، ولم يقيموا على قبيح فعلهم، ولم يصروا عليه، وروي أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وَهُمْ يَعْلَمُونَ)، أي: أنهم يعلمون أنهم أساءوا، أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله[2].

---

[1] القشيري، **لطائف الإشارات**، (279/1)، القشيري في هذه الفقرة متأثر بتعاليم أهل الملامة النيسابورية الذين يعلنون حربا لا هوادة فيها على كل دعوى للنفس حتى ليحاولون ستر حياتهم الباطنية بفعل ما يوجب ملامة الناس، وكل ذلك في سبيل كسر النفس وعدم استشعار العبد لأى فضل منه.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (294/1).

ويتضح في الحديث الشريف بعض المعاني المهمة تتعلق بالذكر، إذ فيه أن النبي ﷺ هو ذاته، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ كان يكثر من الاستغفار؛ فعَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ[1]، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**"[2].

ليغان: ليغطّى، والغين: التغطية، ولا يفهم من هذا الحديث أن قلب النبي ﷺ تأثر بسبب الذنوب، بل هو مغفور له ومكرّم، وغير مؤاخذ بشيء، فثبت بهذا أن ذلك الغين ليس بسبب ذنب، ولهذا اختلفوا في ذلك الغين، فمنهم من قال إنه عبارة عن فترات وغفلات عن الذكر الذي كان دأبه، فكان يستغفر الله من تلك الفترات، وقيل: كان بسبب ما اطلع عليه من أحوال أمته، فكان يستغفر الله لهم، وقيل: كان ذلك الاستغفار لما يشغله عند محاربة العدوّ والنظر في أمور الأمّة، والاستغفار الذي صدر من الرسول ﷺ لم يكن لأجل ذلك الغين بل للقيام بالعبادة، فكان عليه السلام دائم الترقي في المقامات، فكان إذا ترقى من مكان إلى غيره، ظهر له أنه نقص بالنسبة إلى المُنتقل إليه، فكان يستغفر الله من الأول ويتوب منه، كما أشار أحدهم إلى هذا بقوله: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين[3].

المطلب الثاني: الذكر والبرمجة اللغوية العصبية

من أهم ما يميز رسالة الإسلام أنها نزلت في مكة المكرمة، والتي كانت منعزلة عن الحضارات (فارسية ويونانية وهندية)، فعندما نزل القرآن ومعه السنّة كان خالصاً تماماً، غير مختلط بفلسفات أخرى، مما

---

[1] هو الأغر بن يسار المزني : ويقال الأغر الجهني وعداده في أهل الكوفة وهو ممن لهم صحبة، وروى عنه أهل البصرة، وأبو بردة بن أبي موسى وغيره، وأخرج له مسلم حديثا واحدا في صحيحه.(انظر: ابن حبان، **الثقات**، (١٥/٣)، وابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (١٠٢/١)، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (٢٢٠/١٣)).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٢٧٠٢)، (٢٠٧٥/٤).

[3] انظر: أبو العباس القرطبي، **المفهم لما أشكل من كتاب صحيح مسلم**، ص27.

أدى إلى بناء الأمة الإسلامية بناءً صحيحاً، وشاهدنا فيما بعد دخول بعض المناهج الغربية على الإسلام مثل المناهج الفارسية واليونانية، وتأثر بعض المسلمين بهذه المناهج، فخالفوا المنهج الإسلامي، وهذا الكلام لا يخص الماضي فقط، بل هناك ثقافات واردة من الغرب في عصرنا، وتكاد تنتشر بشكل ملحوظ في العالم الإسلامي، ومنها البرمجة اللغوية العصبية.

هذا العلم ينبني على تفكيك المعتقدات الفاشلة عند الإنسان، أي يفكك المعتقد السلبي ويستبدل به معتقداً إيجابياً، وكل ذلك عن طريق اللغة، فيستطيع أن يؤثر على أعصاب الإنسان، ومخه وبرمجته، فيتحول من شخص فاشل إلى ناجح، ومن ضعيف إلى قوي حسب ما يقولون[1]، وسأتحدث عن هذا الموضوع من خلال الآتي:

---

[1] راغب السرجاني، سلسلة محاضرات على اليوتيوب **(البرمجة اللغوية العصبية)**، https://www.youtube.com/watch?v=i2iemn4XZA4.

أولاً: نشأة البرمجة اللغوية العصبية

نشأت البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في عام 1973م على يد ريتشارد باندلر[1]، وكذلك عالم اللغويات جون جريندر[2]، وهي منذُ نشأتها كانت خاصةً بالأطباء والمرشدين النفسانيين، ولكن مع مرور الوقت تطورت وتوسعت استخداماتها، حتى أصبحت تُستخدم في الإدارة والتربية والصحة والمبيعات، وغيرها من مجالات الحياة المختلفة[3].

ثانياً: مفهوم البرمجة اللغوية العصبية

يدرك الناس البرمجة اللغوية العصبية بطرق مختلفة، ويستفيدون منها في أشياء متباينة، لذا فإن تعريفها يتم بصور عديدة ومتنوعة، فهي برامج تشغيل العقل، ودليل استخدامه ودراسة التجريب الموضوعي، ويضيف صاحب كتاب البرمجة اللغوية العصبية في التكنولوجيا الجديدة للإنجاز أن البرمجة اللغوية العصبية هي دراسة التفوق الإنساني، والقدرة على بذل قصارى جهدك أكثر فأكثر، والطريقة الجبارة والعملية، التي

---

(1) هو: ريتشارد وين باندلر، ولد 24 فبراير 1950 م، عالم رياضيات ومن دارسي علم النفس السلوكي، ومبرمج للحاسب، والذي كان صاحب مقدرة بالغة في تقليد الآخرين، ويعتبر من الواضعين الأوائل لتقنيات البرمجة اللغوية العصبية وذلك بالتعاون مع د .جون جريندر الذي التقى به في بريطانيا والذي عُيّن عندهم بالجامعة كبروفيسور، فقام باندلر بدعوة جريندر إلى مجموعته الدراسية، ومن هنا بدأت جهودهما تتحد وتجتمع، ليظهر لنا ما يسمى اليوم بعلم البرمجة اللغوية العصبية، والفرق بينهما: أن الدكتور باندلر اهتم بالناحية الفكرية، بينما الدكتور ركز على الناحية السلوكية، https://ar.wikipedia.or: wiki/g/ريتشارد_باندلر.

(2) هو: جون جريندر، ولد عام 1939 م ، وهو شريك للدكتور ريتشارد باندلر في اكتشاف و تأسيس هذا العلم، تخرج جريندر من جامعة (USF) بسان فراسنيسكو ، بدرجة ماجستير في الفلسفة في أوائل عام 1960م، كان موهوبا في مجال اللغويات، حصل على درجة الدكتواره في علم اللغويات من جامعة كاليفورنيا بسانديجو، وكعالم لغويات كان يمتاز بتطوير نفسه في مجال علوم بناء الجملة بعد ذلك عين كبروفيسور في اللغويات في جامعة سانتا كروز بكاليفورنيا ، يتميز الدكتور جون جرندر بقدرته العالية على تحليل أعقد النماذج اللغوية و السلوكية، ومن الخطوات المهمة في البرمجة اللغوية العصبية و التي تنسب إلى الدكتور جون جرندر هو تطويره لمجال: الترميز الجديد للبرمجة اللغوية العصبية شاركه في ذلك الباحثه جوديث ديلوزير، https://www.facebook.com/permalink.php?id=101439.

(3) انظر: طلال أحمد باديان، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في الميزان**، موقع الفرقان، https://www.al-forqan.net/files/53.html.

تؤدي إلى التغيير الشخصي، كل هذه التفسيرات صحيحة، إلا أن هناك تفسيراً أكثر دقة وصحة من الناحية العلمية وضعه مصححو البرمجة اللغوية العصبية، وهو: البرمجة تشير إلى أفكارنا ومشاعرنا وتصرفاتنا، حيث أنه من الممكن استبدال البرامج المألوفة بأخرى جديدة وإيجابية. واللغوية تعني: المقدرة الطبيعية على استخدام اللغة الملفوظة أو غير الملفوظة، والملفوظة تشير إلى عكس كلمات معينة. والعصبية: تشير إلى جهازنا العصبي، وهو سبيل حواسنا الخمس التي من خلالها نرى ونسمع ونشم ونشعر ونتذوق[1]. "ومنهج البرمجة اللغوية العصبية يُعنى بتفسير تصرفات الناس، ليس كسلالة بشرية ولكن كحالات فردية، فهو يساعدنا على فهم كيفية تأثير هذه المدركات على كل جوانب سلوكنا، وبالتالي على ما نتمكن من تحقيقه وإنجازه"[2].

ثالثاً: البرمجة اللغوية العصبية بين مؤيد ومعارض

أثارت البرمجة اللغوية العصبية الكثير من الجدل منذ دخولها إلى مجتمعاتنا، ولا سيما عندما حظيت بإقبال ملحوظ من جانب شرائح واسعة من الشباب، وينقسم المهتمون بها في وطننا العربي إلى فريقين: فريق يؤيد الاستفادة منها بما يعود علينا بالفائدة، وفريقٌ آخر يحذّر منها ويجعلها من العلوم الدخيلة لإفساد عقائدنا.

رؤية المؤيدين للبرمجة اللغوية العصبية: عندما انتشرت البرمجة اللغوية العصبية في الوطن العربي، توجه العديد من الأفراد لتعلمها وممارستها والاستفادة مما تقدمه؛ حيث اعتمد مؤيدوها على نفعها المباشر، والنتائج التي تحققها، وقد اتجه الكثير من مؤيديها إلى الاستفادة منها في مجالات مختلفة، تتعلق

---

[1] انظر: الفقي، إبراهيم محمد السيد، (ت: 2012م)، **البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود NLP**، ص15، إبداع للإعلام والنشر، مصر – القاهرة.

[2] هاردي ألدروبيريل هيذر، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في 21 يوماً**، ص17، مكتبة جرير، الطبعة: الثالثة، 2003م.

بكيفية رفع أداء الشخص وإنتاجيته، وكيف تكون الإدارة الناجحة، وكذلك في أمور لا تبتعد عن خدمة الإسلام –من وجة نظرهم– ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يسمّى بـ(دورات حفظ القرآن الكريم بواسطة البرمجة اللغوية العصبية)[1].

ومن الأدلة على تأييدها (الأصل في تعليم الأشياء الإباحة حتى يقوم الدليل على المنع)، ويعتبرها البعض إنجازاً حضارياً للبشرية، ولا يتناقض مع الأديان والمعتقدات السماوية[2].

رؤية المعارضين للبرمجة اللغوية العصبية: اعتبر معارضو البرمجة اللغوية العصبية أنهم أمام فكر فلسفي، وخليط من العلوم والديانات الأخرى، ومن الملاحظات التي أوردها المعارضون[3]:

1. وجود بعض المخالفات والثغرات الشرعية، ومنها التهوين من شأن القضاء والقدر، وإشعار الشخص بأنه يستطيع تحقيق ما يريد من خلال الإيحاء لعقله الباطن.

2. فيها استخفاف بالعقل البشري، وإفراط في التعامل مع العقل الباطن، فالفقير يمكن أن يصبح غنياً بمجرد إقناع نفسه بذلك، وترداد كلمة: "أنا غني، أنا غني" مراراً وتكراراً ليصبح كذلك.

3. كثير من المشاهدات التي بنيت عليها فرضياتها ليس لها مصداقية إحصائية تجعلها فرضيات مقبولة علمياً، فيتدرب المتدرب على أنها حقائق رغم أنها لا ترقى إلى مستوى النظرية.

---

(1) انظر: طلال أحمد باديان، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في الميزان**، موقع الفرقان، https://www.al-forqan.net/files/53.html.

(2) انظر: سليم احمد الكهالي، **البرمجة اللغوية العصبية في الميزان**، الهندسة النفسية، https://www.yemeress.com/algomhoriah/2098876.

(3) انظر: طلال أحمد باديان، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في الميزان**، موقع الفرقان، https://www.al-forqan.net/files/53.html.

4. يعتقد عدد كبير من المعالجين انه كي يتمكن من التغيير فلا بد له من الرجوع إلى الخبرات السلبية الكامنة ومعايشتها من جديد، والفكرة أن الناس يمرّون بخبرات سلبية في حياتهم وتتراكم هذه الخبرات في داخلهم مثل السوائل حتى إذا لم يعد هناك متسع فينفجرون أو يخرجون ما بداخلهم[1].

رابعاً: بعض المشاكل التي تواجهنا أثناء دراسة البرمجة اللغوية العصبية[2]

أولاً: قضية الانبهار التي تحصل نتيجة للفجوة العلمية والحضارية، فإن كثيراً من المسلمين ينظرون إلى ما جاء من الغرب على أنه صحيح بكليّته، ولا يعرضونه على معتقداتهم وأفكارهم ودينهم، فيأخذونه بشيء من التسليم، وبالتالي يقعون في محاذير عديدة، والحقيقة أن هذا الانبهار يجب ألا يقع، فما جاء به القرآن والسنة لا يقارن بحال من الأحوال بغيره من المناهج.

ثانياً: ما يسمونه باللغة الرمزية في علم البرمجة يخاطبون به العقل الباطن، عن طريق سرد قصة فيها حلقة مفقودة أو نوع من أنواع الغموض، مما يجعل المستمع يفكر بهذه الحلقة ويستعمل العقل الباطن، ويستطيع تلقينه ما يريد، وفي القرآن أسلوب معجز، ويستعمل نفس الأسلوب بطريقة أرقى، ففي قصة يوسف عليه السلام، نرى أثناء سرد القصص الكثير من الغموض، مما يترك المجال للقارئ بأن يفكر في تفاصيل هذه القصة، فالقصة قسمت ثمانية وعشرين مشهداً، ومن هذه المشاهد ما دار من حوار بين إخوة يوسف عندما أخذ يوسف شقيقه، رهينة بنسبة السرقة إليه، ليبقيه عنده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ

---

[1] انظر: انتوني روبينز، **قدرات غير محدودة**، ص112، مكتبة جرير، الطبعة: الأولى، 2002م.

[2] انظر: راغب السرجاني، سلسلة محاضرات على اليوتيوب **(البرمجة اللغوية العصبية)**، https://www.youtube.com/watch?v=i2iemn4XZA4.

حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[1]، وهنا ينتهي المشهد ويسدل الستار، لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق ولكن أمام أبيهم، وقد قالوا ما وصاهم به أخوهم دون أن يسمعهم يقولونه، إنما يرفع الستار مرة أخرى لنجد أباهم يخاطبهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، كل ذلك يفتح الطريق لتسلسل المعاني المقصودة من القصة إلى العقل الباطن بطريقة إيحائية لها أبلغ الأثر في النفس[3]، وهذا ممن دعا إليه القرآن من ضرورة التفكر والتعقل والتدبر.

ثالثاً: أحياناً أصحاب البرمجة يستخدمون وسائل دون ضوابط شرعية، محاولين إثبات صحة ما جاء على ألسنة المبرمجين العالميين، حتى لو خالف الشرع.

رابعاً: هناك قاعدة في علم البرمجة اللغوية العصبية تعتمد على العقل الباطن، فهو يرفض كلمة "لا"، ويقبل ما بعدها، فعندما نقول مثلاً: (لا للمخدرات) حسب قولهم، يقولون إنه يأخذ كلمة (المخدرات) وكأننا نقول نعم لها، وكذلك لو طبقنا هذا الكلام على كلمة "لا إله إلا الله" فإن النتيجة تكون إثبات وجود إله غير الله، لا نفي وجوده؛ ومن كلامهم أيضاً في قصة يعقوب عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾[4]، يقولون أن سيدنا يعقوب كأنه أرسل رسالة سلبية إلى إخوة يوسف في قوله هذه الآية، ولم يحسن اختيار الكلمات.

---

[1] سورة يوسف، آية (80).

[2] سورة يوسف، آية (83).

[3] انظر: محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، ص212–213، الملتقى للنشر والتوزيع، سوريا–دمشق، الطبعة: الخامسة، 2003م.

[4] سورة يوسف، آية (12).

خامساً: الافتقار إلى المنهج العلمي، إذ أنها لم يتم تدريسها حتى الآن في أيّ من الجامعات كمادة مستقلّة.

وأرى أن البرمجة اللغوية العصبية مثل غيرها من العلوم الغربية، لها مالها وعليها ما عليها، فقد يكون فيها من التطبيقات ما فيه الفائدة للإنسان، والتي قد نحتاجها فعلاً في زماننا هذا نتيجة التردي والضعف الذي بلغته مجتمعاتنا، كتغيير الاتجاهات السلبية نحو العمل والإنجاز والنهوض الحضاري، وذلك من باب أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحقّ بها. وفي المقابل أرى أن هناك بعض الأفكار والمبادئ الخاطئة التي جاءت بها البرمجة اللغوية العصبية، والمقتبسة من علوم الطاقة واليوجا وغيرها، وكذلك تمجيد العقل الباطن، ولتفادي هذه الأفكار الخاطئة، فقد قام الكثيرون بأسلمة البرمجة اللغوية، مثل الدكتور صلاح الراشد والدكتور علي الحمادي، مما أدى إلى إسلام رمز من رموز البرمجة، وهو الدكتور ود سمول رئيس الجامعة الأمريكية، على يد الدكتور عوض القرني، وإعلان إسلامه في مؤتمر بالمملكة العربية السعودية.

المطلب الثالث: الأذكار وعلاقتها بالبرمجة اللغوية العصبية

إن للكلمات وللإيحاءات تأثيراً كبيراً وواضحاً على الإنسان مهما كانت الكلمة التي تتلفظ بها بسيطة أو صغيرة، فالعقل البشري يتفاعل ويتأثر مع كل كلمة وكذلك النفس البشرية تتأثر مع كل ما يحيط بها من قريب أو بعيد، وهذا التأثير الذي يطرأ على الإنسان يبدأ صغير ثم يكبر ويكبر، لأن للكلمات أثرٌ على نفس الإنسان وطاقته إما بالسلب أو الإيجاب[1]، وسأعرض هذا الموضوع من خلال المسائل الآتية:

---

[1] انظر: العزعزي، عبد اللطيف عبده، **أسرار الطاقة في العلاج والتطوير الذاتي**، ص134، مركز التميز للاستشارات الإدارية والتطوير، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.

أولاً: علاقة الذكر بالبرمجة اللغوية العصبية

ومن أهم أسس البرمجة اللغوية العصبية التركيز على موضوع تكرار الكلمات مع الشعور بها، مثل: أنا قوي أنا قوي أنا قوي، مع أحاسيس ومشاعر عالية، فإن القوة تترسخ في العقل الباطن لشخص منا، كما يقول مدربو البرمجة اللغوية العصبية، وهم يطلبون من المتابعين تكرار اللفظ والكلمات الإيجابية بشكل يومي، مع وجود المشاعر والأحاسيس العالية عند التلفظ بها، كأن يقول: أنا ناجح أنا ناجح أنا ناجح، أنا غني أنا غني أنا غني، فالدكتور إبراهيم الفقي وغيره من المتخصصين في البرمجة اللغوية العصبية، يركزون دائماً على تكرار الكلمات الإيجابية، وتكرار ذكر الهدف في الحياة، حتى يصبح جزءاً من الشخصية، والرابط هنا هو التكرار، ولكننا نفتقر إلى العامل الثاني المهم، وهو وجود المشاعر والأحاسيس العالية عند ذكر الله تعالى، فالذي نراه أن الرسول ﷺ عندما طلب منا قول الله أكبر ثلاثاً وثلاثين مثلاً كان الهدف منها ترسيخ أشياء معينة في نفوس الذاكرين، ولكن الشرط أن نقرن المشاعر والأحاسيس العالية عند قولنا (الله أكبر) فنشعر بعظمة هذه الكلمات، وهي أن الله أكبر من كل شيء[1]، وتكرار أذكار معينة ورد في أحاديث عديدة منها ما رواه كعب بن عجرة[2] عن رسول الله ﷺ قال: "**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**"[3].

---

[1] انظر: محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، ص209.

[2] هو: كَعْب بن عُجْرَة السالمي الانصاري المدني من بنى دينار بن النجار كنيته أبو محمد، من أهل بيعة الرضوان، شهد المشاهد كلها، وفيه نزلت الآية: (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة عام (51هـ)، عن نحو 75 سنة. له 47 حديثاً. (انظر: ابن حبان، **مشاهير علماء الأمصار**، ص41، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (52/3)، والزركلي، **الأعلام**، (227/5)).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم(596)، (418/1).

قوله ﷺ (مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ) معناه: تسبيحات تُفعلْ أعقاب الصلاة، وقيل: سميت مُعقبات؛ لأنها تُفعل مرة بعد أخرى، وقوله: (له مُعقبات)، أي: الملائكة يعقُبْ بعضهم بعضاً[1].

تكرار كلمة "لاحول ولا قوة إلا بالله" مثلاً: عند التعرض للمحن والمصائب، فإن عقلنا الباطن يذكرنا مباشرة بهذه الكلمات التي تخفف عنا الشيء الكثير، ونلجأ إلى الله عز وجل، ونستشعر أننا لا حول لنا ولا قوة إلا به.

وهذا ما قاله صاحب كتاب (آفاق بلا حدود) عندما تحدث عن التأثير المبرمج في العقل الباطن قائلاً بأنه يمكن التأثير في العقل الباطن بشكل مقصود ومخطط له، وبإدارة الإنسان نفسه ورضاه، وهناك ثلاثة طرق رئيسية لتحقيق ذلك: التكرار، والإيحاء، والهندسة النفسية، وقد تناول كتاب (آفاق بلا حدود) طرق الهندسة النفسية وأساليبها في التأثير في العقل الباطن، وشمل كذلك بعضاً من طرق الإيحاء[2].

التكرار: هو القيام بإعادة كلمات وعبارات مرات كثيرة في اليوم والليلة لفترة من الوقت أو باستمرار، ويُعدّ الذكر والدعاء خير مثال على هذا، فإن ذكر الله تعالى يزيد الإيمان ويضيء النفس ويرتقي بها في مدارج الفضائل، فيتهذب السلوك وتسمو الأعمال، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[4]، ويضيف صاحب الكتاب المشار إليه: أن الذكر يكون بالقلب واللسان تارة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾[5]، وذلك أفضل

---

[1] انظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ص440.

[2] انظر: محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، ص210.

[3] سورة الرعد، آية (28).

[4] سورة الحديد، آية (16).

[5] سورة الأعراف، آية (205).

الذكر، وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة، فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، والصلاة أعلى من الذكر والدعاء، لاشتراك القلب واللسان والجسد فيها، كما أن الطهارة والوضوء يسبقانها، وهما إعداد نفسي جسدي للصلاة[1].

وقد أدرك سيد قطب أن للتعبير طريقتين: تجريدية وتشخيصية كما أسماها، وأن الطريقة الأولى تخاطب العقل الواعي، وأن الطريقة الثانية تخاطب اللاشعور أو العقل الباطن، ولم يكن سيد قطب معنياً بدراسة علم النفس والعقل الباطن، ولكن قاده حسّه الأدبي الرفيع، وانفعاله بالقرآن، إلى أن يصل إلى أحد الأسرار الكبيرة في تأثير اللغة على تفكير الإنسان وسلوكه وشعوره[2].

توسّع سيد قطب في معنى التصوير، فهو عنده تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالخيال، كما أنه تصوير بالنغمة، ويوشك أن يقول بأن أسلوب القرآن يتضمن استعمال الأنماط الثلاثة: الصورية والسمعية والحسية، إلا أن ما اكتشفه سيد قطب هو أمران في غاية الأهمية، الأول: هي تناسق الأنماط الثلاثة في التعبير، أما تناسق الأنماط فهو ربط التصوير في القرآن بإيقاع موسيقي ناشئ من تخير الألفاظ، وربطها كذلك بالنمط الحسي، ويضرب مثالاً لذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3]، فيتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، في قوله تعالى:﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ

---

[1] انظر: محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، ص211.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص221.

[3] سورة التوبة، آية (38).

﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾[1]، أما الأمر الثاني الذي أشار إليه سيد قطب فهو الغموض والفجوات في القصص القرآني، مثال على ذلك قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف كما وردت في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2]، فاسم الرجل مجهول، والأحداث تبدو غامضة، فيكون الجو كله غامضاً مجهولاً، حتى يأخذ السر في التجلّي، فيعرف موسى سر تلك التصرفات الغريبة[3].

ثانياً: تكرار الذكر في القرآن الكريم وعلاقته بالبرمجة اللغوية العصبية

إنما يلفت النظر في بعض الآيات القرآنية ورود كلمة كثيراً بجوار كلمة الذكر، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أهمية تكرار هذه الأذكار في حياتنا اليومية لما لها من أثر بالغ على الفرد المسلم، وللرازي كلام دقيق جداً في موضوع تكرار الذكر وأثره على النفس إذ أنه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[4]، "إذا واظب الإنسان على عمل من الأعمال وكرر مراتٍ ومراتٍ حصلتْ مَلَكَةٌ قوية راسخة في جوهر النفس، فهذه آثار صعدت من البدن إلى النفس، إذا عرفت هذا فنقول: إذا حضر الذِّكْرَ اللِّسَانِيَّ بحيث يسمع نفسه، حصل أثر من ذلك الذكر اللساني في الخيال، ثم يصعد من ذلك الأثر الخيالي مزيد أنوار وجلايا إلى جوهر الروح، ثم تنعكس من تلك الإشراقات الروحانية آثار زائدة إلى اللسان ومنه إلى الخيال، ثم مرة أخرى إلى العقل، ولا يزال تنعكس هذه الأنوار من هذه المرايا بعضها إلى بعض، وَيَتَقَوَّى بعضها ببعض، ولما كان لا نهاية لتزايد أنوار المراتب، لا

---

[1] سورة النساء، آية (72).

[2] سورة الكهف، آية (65).

[3] انظر: محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، ص222.

[4] سورة الأعراف، آية (206).

جرم لا نهاية لسفر العارفين في هذه المقامات العالية الْقُدْسِيَّةِ وذلك بحرٌ لا ساحل له، ومطلوبٌ لا نهاية له"[1].

وتعدّد التوجيه القرآني بالإكثار من ذكر الله تعالى في آيات كثيرة، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[2]، أي: "ذكر الله في كلامهم"[3]. وقد جاء في تفسير هذه الآية : "يأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم عز وجل الذي أنعم عليهم بوافر النعم، شكراً له على هذه النعم، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية "إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا مغلوباً على تركه"[4].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾[5]، يقول: "كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً"، (وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا)[6] "أي: كما ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعال، ونذكرك وحدك ابتغاء مرضاتك"[7]، "أي في الخوف والرجاء والشدة والرخاء"[8].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[1] "والذكر الُمراد إن كان قد سُلب قوة النطق، أو الذكر اللساني إلاّ إن كان قد نُهي عنها فقط"[2].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، (445/4).

[2] الثا سورة الأحزاب، الآيتان (41، 42).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (105/13).

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (386/6).

[5] سورة طه، الآيتان (32، 33).

[6] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (301/18).

[7] المراغي، **تفسير المراغي**، (107/16).

[8] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (25/3).

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، "ومَن أكثر مِن ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجبا"[4].

وأرى أن الجميع منا يحتاج إلى إعادة برمجة التفاؤل في حياته، وأن الإسلام كان السّباق في بناء الشخصية السوية بناءً متكاملاً، فمثلاً عندما نسبّح فنحن نكرر الأفكار الإيجابية، والقرآن طلب منا تكرار التسبيح مثلاً بعدد من المرات لنجعل القلب يعيش حياة الذكر، وعندما نتفاءل بالأمور الإيجابية يحصل لنا ما تفاءلنا، وهذه أمور أخبرنا عنها الإسلام منذ زمن بعيد، لكن لا مانع من أن نقتبس من الغرب بعض الأمور التي لا تتناقض مع عقيدتنا وأفكارنا وقيّمنا وسلوكياتنا الدينية، بشرط أن تكون منضبطة ضمن أصولنا، وقد يكون فيها بعض المنافع والفوائد في تعلّم بعض الطرق التي يستطيع الإنسان فيها أن يسيطر على المشاعر الإيجابية، فهذا جميعنا بحاجة إليه، لكنه يكون في حال ما إذا تمت تنقيتها من جميع الشوائب، ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة والفلسفة والديانات الوثنية، وذلك من قبل الأكاديميين المتخصصين في الشريعة الإسلامية، أو بوجود مدرب له خلفية شرعية، كما لا ننسى أن القرآن الكريم استخدم أسلوب التكرار البليغ في تعليمنا لمثل هذه القضايا كموضوع، قال تعالى:﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[6].

---

[1] سورة آل عمران، آية (41).

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (243/3).

[3] سورة الشعراء، آية (227). سورة الرحمن، آية (13).

[4] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (301/1).

[5] سورة المرسلات، آية (15).

[6] سورة الرحمن، آية (13).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل الصلاة وأتم السلام على النبيّ خير الأنام ﷺ وبعد:

فهذه دراسة قدمتها تحت عنوان "**الأذكار وآثارها النفسية في القرآن الكريم– دراسة موضوعية**" أرجو من الله تعالى أن تكون قد أحاطت بالموضوع إحاطة مقبولة، وإن كان ثمّة نقص أو تقصير في جانب من جوانب البحث، فالكمال لله وحده، والعصمة لنبيّه ﷺ، وأرجو ان تكون هذه الدراسة توطئة لدراسات تالية تكون أكثر شمولية وتفصيلاً.

وقد توصلت من خلال الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. ذكر الله هو أفضل الطاعات على الإطلاق، إذ أنه يدخل ضمن كلِّ العبادات، فأفضل العاملين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الصوامين أكثرهم ذكراً في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وهكذا سائر الأحوال.
2. ذكر الله لا بدّ أن يكون باللسان والقلب والعقل، على عكس ما نراه اليوم من حصر للذكر باللسان فقط.
3. يطلق لفظ الذكر على كثير من المعاني، استخدمها القرآن الكريم في كثير من المواضع، لكنني جمعت الآيات الخاصّة فقط بالألفاظ التي تخص التهليل والتحميد والتسبيح، وفسرتها تفسيراً موضوعياً.
4. كثيراً ما يذكر العبد ربّه وهو أبعد ما يكون عن التأثر النفسي بهذا الذكر، لذلك كان لا بد من طرح بعض التدريبات العملية لاستحضار هذا الأثر، والخروج من الزنزانة الضيقة للذكر إلى مساحة أوسع وأشمل.
5. من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الإنسان بحق نفسه تجاهل هذه النفس وعدم معرفته بكنهها وحقيقتها، لذلك كان لا بد من تجربة ومعاناة ومعايشة وتطبيق للذكر وأثره على النفس.

6. هناك أبعاد تفاعلية للذكر تشمل مجالات عديدة في حياة المسلم، وهي تتضمن من وجهة نظري أربعة مظاهر، البعد الشعائري، إذ يجب علينا أن لا نحصر الذكر في هذا المظهر الشكلي، لأنه لن يؤتي ثماره المرجوّة، البعد الاجتماعي إذ أن للأذكار أبعاداً اجتماعية تعمل على ترسيخ العلاقات، وتعززها مثل إفشاء السلام، البعد الاقتصادي، وكانت النتيجة هنا أن يتحول الذكر من مجرد عبادة إلى منظومة اقتصادية كاملة من خلال تفسير موضوعي لبعض آيات الاستغفار التي وردت في هذا المجال، وبعدٌ كوني: فجميع الكائنات تسبّح لله، مما يشعر الإنسان بالخجل من نفسه بالتقصير في هذه العبادة التي تفعلها جميع الكائنات.
7. الأذكار التي وردت في القرآن لها معانٍ عميقة جداً لكل من يتأمل ويتدبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
8. التنبيه على أصناف خمسة من المجموعة الواعية للذكر، التي استخدمت الأذكار استخداماً عميقاً.
9. الذكر الواعي له نتائج مذهلة في الشفاء من الأمراض النفسية التي تهاجم المجتمع المسلم اليوم.
10. كيفية التعامل مع ما استجد في العالم الإسلامي من برامج جديدة، وربطها بالذكر، كالبرمجة اللغوية العصبية، التي تعتمد على التكرار والكثرة، وأضيف أثناء ذكرها ضوابط مهمة للتعامل معها أو قبولها.

وأخيراً : بعد الحياة مع هذه الدراسة، رأيت أن أنهيها بطائفة من التوصيات، لعل الأخذ بها يفيد الدارسين والباحثين، والناس عموماً؛ وهذه التوصيات هي:

1. عقد دورات تربوية متخصصة للخطباء والوعاظ، لدراسة كيفية تطبيق الأذكار، وبيان أثرها النفسي في حياتنا اليومية.
2. إصدار نشرات دورية تثقيفية متعلقة بالأذكار، والأبعاد التربوية التي ترافقها.

الفهارس العلمية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي...	14
إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّه	17، 82
مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ	19
مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميِّت	19
لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ و...	24
لوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ....	24
لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ ...	50، 82
مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، ...	51
لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ...	52
أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ حَنِينِ هَذِهِ الْخَشَبَةِ؟ فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَرَقُّوا مِنْ حَنِينِهَا حَتَّى...	53
لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله	63
أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ "تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ	68
أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ – أَوْ قَالَ: عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ –؟ ...	72
وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ	74

فنهى رسول الله ﷺ عن قتله	75
إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ..	76
مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا...	83
أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ،..	85
مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ...	85
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...	96
عليكُنَّ بالتَّسبيحِ، والتَّهليلِ والتَّقديسِ، واعقِدْنَ بالأنامِلِ، فإنَّهنَّ مَسئولاتٌ مُستَنطقاتٌ...	103
مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا	104
إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ...	111
مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ ...	120
منْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً	122
إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: "وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟" قَالُوا: نَعَم..	135
ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ...	136
مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ ...	140
مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً..	154
إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ	164

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم أو الكنية	الصفحة
1. الأصفهاني	4
2. الأغر المزني	146
3. الأغر أبو مسلم	50
4. أبو البقاء الكفوي	4
5. إبراهيم النخعي	68
6. أنس بن مالك	111
7. ابن الصلاح	55
8. جابر بن عبد الله	53
9. الجرجاني	28
10. جون جريندر	148
11. الحسن البصري	90
12. ريتشارد باندلر	148
13. السكندري	5
14. سيد قطب	12
15. السهيلي	33
16. أبو سعيد الخدري	50

17. سهل بن سعد الساعدي	53
18. السعدي	84
19. الشوكاني	39
20. عبد الله بن مسعود	24
21. عبد الله بن بسر	63
22. عبد الله بن عمرو	68
23. عثمان بن أبي العاص	136
24. عبد الله بن المغفل	143
25. ابن عباس	68
26. القرطبي	5
27. ابن قيم الجوزية	6
28. القشيري	13
29. قتادة بن دعامة	17
30. كعب بن عجرة	154
31. مجاهد	23
32. أبو موسى الأشعري	19
33. معاذ بن جبل	83
34. أبو هريرة	14

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي الحنفي، (ت:792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الأولى، 1426هـ/2005م.
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، (ت: 630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.
3. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/2001م.
4. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: 1424هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، والمنتدى الإسلامي، مجلة البيان(عدد:238).
5. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
6. الأطروني، محمد حافظ، حوار مع الأستاذ حول **الصحة النفسية**، منشورة على الانترنت، .http://articles.islamweb.net/media/index.php

7. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت:1420هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المكتب الإسلامي.

8. التزبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، (ت:741هـ)، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م).

9. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

10. انتوني روبينز، **قدرات غير محدودة**، مكتبة جرير، الطبعة: الأولى، 2002م.

11. أمين صبري، محاضرة على اليوتيوب بعنوان: **المعنى الأصلي للتسبيح بالحمد**، https://www.youtube.com/watch?v=rhEanEmjkGk.

12. **بحرق**، محمد بن عمر بن مبارك الخضرمي الشافعي، **الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة**، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، 1427هـ/2006م.

13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت: 241هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المسمى بـ (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

14. بدر الدين العيني، أبو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، (ت:855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

15. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت:510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

16. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (ت: 1094هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت.

17. البلخي، مقاتل بن سليمان، **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد العراق.

18. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

19. **الترمذي**، ، محمد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

20. توفيق، محمد عز الدين، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة– مصر، الطبعة: الأولى، 1418هـ/ 1998م.

21. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت:728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

22. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت: 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بـ (تفسير الثعالبي)**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

23. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ/ 2002م.

24. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (ت: 816هـ)، **التعريفات**، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ/1983م.

25. الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، (ت: 833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.

26. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، (ت: 370هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

27. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت:597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة لبنان، بيروت.

28. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، (ت: 1067هـ)، سلم **الوصول إلى طبقات الفحول**، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م

29. ابن حِبَّان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة: الأولى 1411 هـ/1991م.

30. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، **الثقات**، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393هـ/ 1973م.

31. أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دار الفكر، دمشق_ سوريا، الطبعة: الثانية، 1408هـ/1988م.

32. الحبيشي، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، (ت: 782هـ)، **البركة في فضل السعي والحركة وما ينجي بإذن الله تعالى من الهلكة**، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان–بيروت، الطبعة: الأولى، 1437هـ/2016م.

33. ابن حَجَر العَسْقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.

34. ابن حَجَر العَسْقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (ت: 852هـ)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

35. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن احمد)، (ت: 852هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد_ سوريا، الطبعة: الأولى ، 1406هـ/1986م).

36. حسنين محمد مخلوف، **صفوة البيان لمعاني القرآن** تفسير القرآن الكريم، لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس الهجري، الإمارات العربية المتحدة.

37. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين، (ت:320هـ)، **تحصيل نظائر القرآن**، تحقيق: حسني نصر زيدان، الطبعة: الأولى، 1389هـ/1969م.

38. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، (ت:745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، 1420هـ.

39. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت: 741هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى بـ (تفسير الخازن)**، دار الفكر، لبنان– بيروت، 1399هـ/1979م.

40. الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد، (ت: 388هـ)، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي– السعودية، الطبعة: الأولى، 1409هـ/1988م.

41. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر_بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م.

42. الدامغاني، أبو عبد الله الحسين ، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

43. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ت: 275هـ)، **سنن أبي داوود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

44. دوزي، رينهارت بيتر آن، (ت: 1300هـ)، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام– العراق، الطبعة: الأولى، من 1979م/2000م.

45. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (ت: 748هـ)، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م.

46. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (ت: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ/2006م.

47. راجح، أحمد عزت، **أصول علم النفس**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، الطبعة: السابعة، 1968م.

48. الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب المسمى بـ (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.

49. الرازي، محمد بن أبي بكر الحنفي زين الدين، (ت: 666هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/1999م.

50. راغب السرجاني، سلسلة محاضرات على اليوتيوب **(البرمجة اللغوية العصبية)**، https://www.youtube.com/watch?v=i2iemn4XZA4.

51. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الشامية ، دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ.

52. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت502هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 1428هـ/2007م.

53. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي البغدادي، الدمشقي الحنبلي، (ت: 95هـ)، **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الرابعة.

54. ريتشارد م. سوين، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، **علم الامراض النفسية والعقلية**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1988م، الكويت.

55. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت: 1436هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ.

56. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.

57. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة.

58. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت: 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ.

59. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: 902هـ)، **قول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، دار الريان للتراث.

60. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت:230هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م.

61. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المسمى بـ (تفسير السعدي)**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1422هـ.

62. السكندري، تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، **مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح**، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

63. السكندري، تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، **الحكم العطائية**، مركز الأهرام للترجمة والنشر– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1408هـ/1988م.

64. سليم احمد الكهالي، **البرمجة اللغوية العصبية في الميزان**، الهندسة النفسية، https://www.yemeress.com/algomhoriah/2098876.

65. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت: 373هـ)، **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2000م.

66. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت: 373هـ)، **بحر العلوم**.

67. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت: 756هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1996م.

68. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت: 756هـ)، **الدر المصون، في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

69. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، (ت:581هـ)، **الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2000م.

70. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر.

71. الشرقاوي، حسن محمد، **نحو علم نفس إسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م.

72. الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، **الخواطر المسمى بـ (تفسير الشعراوي)**، مطابع أخبار اليوم.

73. شمس الدين ابن مفلح، محمد بن مفلح بن مفرج أبو عبد الله المقدسي الراميني، (ت: 763هـ)، **كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1419هـ/1999م.

74. الشنشوري، محمد بن أحمد بن بدوي الدسوقي ، **فقه الذكر والدعاء**، مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1412هـ/1992م.

75. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت:1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.

76. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت: 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/2000م.

77. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، (ت: 1182هـ)، **التنوير شرح الجامع الصغيرِ**، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432هـ/2011م.

78. الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحنفي، (ت: 1231هـ)، **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ/1997م.

79. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ 2000م.

80. طلال أحمد باديان، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في الميزان**، موقع الفرقان، https://www.al-forqan.net/files/53.html

81. ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: 660هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

82. ابن عاشور، محمد ذر بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

83. أبو العباس، أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي، (ت: 656هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1996م.

84. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي، (ت:463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ/1992م.

85. عبد الرحمن العيسوي، **الإسلام والعلاج النفسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

86. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، **فقه الأدعية والأذكار**، الكويت، الطبعة الثانية، 1423هـ/2003م.

87. عبد العزيز، مفتاح محمد، **القرآن وعلم النفس**، دار الكتب الوطنية، بنغاري.

88. عبد القادر الجيلاني، ابن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين، (ت: 561هـ)، **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل**، (198/1)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1997م.

89. العزعزي، عبد اللطيف عبده، **أسرار الطاقة في العلاج والتطوير الذاتي**، مركز التميز للاستشارات الإدارية والتطوير، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.

90. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي، (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

91. العقاد، عباس محمود، **الإنسان في القرآن**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة– مصر.

92. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسينين عبد الله البغدادي محب الدين، (ت: 616هـ)، **شرح ديوان المتنبي**، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة– بيروت.

93. ابن علان، محمد الصديق الشافعي الأشعري المكي (ت:1057م)، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

94. العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

95. الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**- شرح عجائب القلب، (4/3)،، دار المعرفة- بيروت.

96. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، (ت:395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

97. أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت.

98. الفقي، إبراهيم محمد السيد، (ت: 2012م)، **البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود NLP**، ص15، إبداع للإعلام والنشر، مصر- القاهرة.

99. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة 1426هـ/2005م.

100. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

101. القاضي عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، (ت: 544هـ)، **شرح صحيح مسلم المسمى ب(إكمال المعلم بفوائد مسلم)**، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998م.

102. القرضاوي، يوسف، **العبادة في الإسلام**، مكتبة وهبة، الطبعة: الرابعة والعشرون، 416هـ/1995م.

103. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (ت:671هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن والمشهور بـ (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة.

104. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات المسمى بـ (تفسير القشيري)**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، الطبعة: الثالثة.

105. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ/1985م.

106. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض– المملكة العربية السعودية.

107. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م.

108. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **فضائل الذكر والدعاء**، دار الجيل_ بيروت، الطبعة: الثانية.

109. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:751هـ) ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ/1996م.

110. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:751هـ)، **الروح**، دار الكتب العلمية– بيروت.

111. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت:751هـ)، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت– لبنان.

112. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون_ بيروت، الطبعة :الأولى، 1419هـ.

113. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ/1988م.

114. الكيلاني، ماجد عرسان، **فلسفة التربية الإسلامية– دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة**، دار المنارة للنشر والتوزيع، مكتبة المنارة، السعودية– جدة.

115. لبن، علي، **من مبادئ الإسلام**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.

116. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي) وأحمد في مسنده.

117. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب المصري البغدادي، (ت: 450هـ)، **النكت والعيون**، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان.

118. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.

119. محمد التكريتي، **آفاق بلا حدود**، الملتقى للنشر والتوزيع، سوريا–دمشق، الطبعة: الخامسة، 2003م

120. محمد صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، (ت: 1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا –بيروت، 1412هـ/1992م.

121. محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث– القاهرة.

122. محيسن، محمد سالم، (ت: 1422هـ)، **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**، دار الجيل_ بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ/1992م.

123. محيي الدين ديب مستو، **لوامع الأنوار شرح كتاب الأذكار**، دار ابن كثير، النشر والتوزيع– دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى.

124. وليد الهودلي، مدونة منشورة على الانترنت بعنوان: **(أذكار الأحرار)**، https://whudali.blogspot.com/p/blog-page.html .

125. المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة: الأولى، 1365هـ/1946م.

126. مرتضى الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

127. مرسي، سيد عبد الحميد، **الإيمان والصحة النفسية**، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

128. مرسي، سيد عبد الحميد، **النفس المطمئنة**، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.

129. المَزّي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي، (المتوفى: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1400هـ/1980م، الطبعة: الأولى.

130. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسمى بـ (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

131. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد (ت: 489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

132. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، (ت: 845هـ)، **تجريد التوحيد المفيد**، تحقيق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: 1409هـ/1989م.

133. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، (ت:804هـ)، **العقد المذهب في طبقات حملة المذهب**، تحقيق: أيمن نصر الأزهري- سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1997م.

134. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الإفريقي، (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

135. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة: الثانية، دار السلاسل- الكويت.

136. النتشة، جواد بحر، **عالم الأنفس**، مطبعة بابل الفنية، فلسطين- حلحول، الطبعة: الأولى، 1427هـ/2006م.

137. نجاتي، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق- القاهرة، الطبعة: الثامنة، 1425هـ/2005م.

138. نجاتي، محمد عثمان، **دراسات نفسية عند المسلمين**، مكتبة دار الشروق، الطبعة: الأولى، 1414هـ /1993م.

139. زغلول النجار، راغب محمد، **صور من تسبيح الكائنات لله**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: العاشرة، 2006م.

140. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت303هـ)، **المجتبى من السنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط2، 1406هـ/1986م.

141. النسفي، أبو البركان عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت: 710هـ)، **تفسير النسفي، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998 م.

142. النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، (ت:676هـ)، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيت الأفكار الدولية، عمان– الأردن.

143. نويهض، عادل، **معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"**، تقديم: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409هـ/1988م.

144. هاردي ألدروبيريل هيذر، **البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في 21 يوماً**، مكتبة جرير، الطبعة: الثالثة، 2003م.

145. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، **الوجوه والنظائر**،، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ2007م.

146. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

147. يوسف بن عبد الهادي، (ت: 909هـ)، **مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله**، تحقيق: عبد الهادي محمد منصور، راجعه وقدم له: عبد القادر الأرناؤوط، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1416هـ/1995م.